الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الأنا و الأخر في شعر محمد الغماري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب العربي

إعداد الطالب(ة):

*- بن ناصر نسيبة
*_ بويزار لبنى

إشراف الأستاذ:

أ-معاشو بووشمة

السنة الجامعية: **2017/2016**

إهـــــــداء

إلى ينبوع العطاء الدي زرع في نفسي الطموح

والمثابرة .....والدي العزيز

إلى نبع الحنان الذي ينضب .....أمي الغالية

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات

طفولتي وشبابي....إخوتي وأخواتي

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي ..... صديقاتي

إلى كل محبي العلم والمعرفة

إلى كل من كان النجاح طريقه والتفوق هذفه والتميز سبيله.....أستاذي

"عاشور توامة"

إلى كل هؤلاء الشكر والتقدير والاحترام

لبنـــى

مقـــدمـــة

يعد موضوع الأنا والآخر من أكثر المواضيع المدروسة في شتى فروع المعرفة الإنسانية وخاصة الدراسات الفكرية والنقدية , باعتبار أن الأنا لابد لهما من أخر تحاول من خلاله التعرف على ذاتها ,وهي علاقة من شانها إن تنهض على افتراض الغيرية التي يتألف منها الوجود الإنساني المتضمن دوما قطبين مختلفين .

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في تحديد هوية الأنا وما تتميز به عن الأخر خاصة في عصر يسعى إلى إلغاء الحدود الفاصلة بين الأنا والآخر واختزالهما في نطاق واحد وهو الجمعية ,وهدا بعد تذويب مقومات لصالح قيم الآخر , كما أننا وقفنا عند المدونة الشعرية لمصطفى محمد الغماري لأنه يتوجه في شعره كثيرا إلى رسم صورة الأنا والآخر .

وقد انطلقنا في دراستنا هذه من تساؤلات عديدة :

-ما هوية الأنا التي حاول الغماري أن يؤسس لها في شعره ؟

-كيف يصور الأنا في مخيال الآخر؟وكيف يرى الآخر في مخيال الأنا ؟

وهذه الأسئلة أملت علينا رسم خطة نحاول من خلالها الإجابة عن هده الأسئلة,وهي خطة تتكون من فصلين :

أما الفصل الأول فكان عنوانه : صورة الأنا في مخيال الآخر.

وقد حاولنا من خلاله أن نعرف الأنا والآخر ونتعرف على هوية الأنا من خلال :الإسلام والوطن بالإضافة إلى الانتماء العربي , كما حاولنا أن نوضح صورة الأنا في مخيال الآخر أين تغيب الصورة الحقيقية للانا لتتجلى في صورة :الرجعية ,الهمجية ,التخلف

وتطرقنا أيضا إلى صورة الآخر في مخيال الأنا وقد شملت الآخر /الأمة ,والآخر /الغرب .

أما الفصل الثاني :فعنوانه:(تجليات الأنا والآخر من خلال بعض الثنائيات)حيث اخترنا ثنائيات :الذات /الموضوع,الحياة /الموت ,الزمان /المكان , الحضور /الغياب)

لأن الغماري ركز عليها كثيرا في شعره .

وانهينا خطتنا هذه بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هده الدراسة ,وقد توصلنا إلى هذه النتائج عن طريق تطبيق آليات إجرائية لأكثر من منهج واحد كآلية

التحليل والوصف التي يعتمدها المنهج الفني كما وظفنا أيضا آلية الرصد والاستقصاء التي تعد أهم آليات المنهج التاريخي ,كما كانت الاستفادة من المنهج النفسي واضحة بغية سبر أغوار النفس ومعرفة حقيقة كوامنها

وفي كل دالك اعتمدنا على النصوص الشعرية للغماري مع الاستعانة ببعض المراجع التي تقف عند إشكالية الأنا والأخر .

ولم نكن نحن أول من تطرق لهذا الموضوع لكننا حاولنا أن نصور الأنا والآخر في شعر الغماري من خلال قراءتنا واستيعابنا لشعرة .وقد واجهتنا في طريق بحثنا صعوبات عديدة نترفع عن ذكرها فلا يخلو أي بحث منها ولا تتم متعة البحث إلا بها ,كما نعتبر هذه الدراسة أول خطواتنا على مدارج البحث العلمي ,وهي لا تخلو من العثرات فان أصبنا فمن الله ورسوله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان .

الفصل الأول : تجليات صورة الأنا والآخر

الفصل الأول :تجليات صورة الأنا والآخر

أولا :صورة الأنا

01-تعريف الأنا والآخر بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي .

أ-الأنـــا لغة:وردت كلمة الأنا في لسان العرب بمعنى :

« اسم مكنى وهو للمتكلم وحده ،وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن ،التي هي حرف ناصب للفعل ،والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحرف في الوقف ».[1]

ولقد ورد في معجم الوسيط بمعنى "ضمير رفع منفصل للمتكلم ،أو المكتملة ".[2] فأنا هو وصف للشخص المؤنث أو المذكر على حد سواء مصورًا لذاته وعاكسا لشخصيته.

وهذا ما جاء في معجم المحيط "ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا ،معناه وجمعه نحن "[3]

ب-الأنا اصطلاحا :من الصعب تضييق النطاق على مفهوم الأنا لحصر معناه :"فهو مصطلح مراوغ يستعصى على التعريف والحد الاصطلاحي لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية (الفلسفة ،علم النفس ،علم الاجتماع ،علوم العربية ....الخ ".[4]

وقد تداخل مصطلح (الأنا) بين النفس والعقل عند الفلاسفة العرب ،"يقول يوسف حداد "معبرا عن دلك :"تطابقت الأنا بوصفها مع الذات المفكرة بوصفها عقلا ،وقد تأرجحت الأنا بين العقل والنفس في الفلسفة العربية حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل "[5]

ففي الفلسفة يعتبر الأنا بالمعنى التقريبي له "النفس "إذ نجد ذلك عند الكثير من الفلاسفة وعلى رأسهم "روني ديكارت " (deacart) (1560-1596)بحيث يقول" أنا أفكر إذن أنا موجود"[6]

فديكارت يرى بأن الفكر مرتبط بالوجود فكوننا موجودين يعني أننا دائما نفكر في صحة الأشياء من حولنا وهدا التفكير يبنى على أساس الشك ليصل بدلك إلى الحقيقة مفادها "أنا صفته التفكير" [1]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، دار الصادر، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2000 ، ص18 .
[2] إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر تركيا ، (د.ن) ، (د.ت) ،ص 28 .
[3] بطرس البستاني : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، 1987 ، ص18 .
[4] عباس يوسف الحداد : الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض نموذجا) ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،اللادقية ، سوريا، ط 2 ، 2002 ،ص 187 .
[5] عباس يوسف الحداد : الأنا في الشعر الصوفي ، ص102 .
[6] أحمد ياسين سليماني : التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2009 ، ص192 .

فعندما يكون الأنا يكون التفكير وعندما يكون التفكير يثبت الوجود ،ضمن هذا المبدأ الفلسفي تمكن ديكارت من إظهار مفهوم الأنا المفكرة، ودون هذا الوجود لا وجود للذات .

وفي علم النفس ركز علماء النفس في البداية على الجانب الشعوري من الشخصية كونه الجانب الأساسي لفهم سلوك الإنسان لكن بعد العجز في تفسير العديد من السلوكات ظهرت مدرسة التفكير النفسي مع سيغموند فرويد (sigmundfreud) (1856-1939)" الذي يرى أن السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشخص وخاصة من خلال علاقته بوالديه"[2] وهو يرى أ ن كل ما ينتج من سلوك من قبل الشخص ما هو إلا فعل ناتج عن الجهاز النفسي المكون من ثلاث أقسام وهي :الهو (الليبيدو)،الأنا (الضمير)، الأنا الأعلى (المجتمع).

فالهو هو المكونات الغريزية التي همها الأساسي هو الحصول على اللذة ودفع الألم ،إلا أن تلك الرغبات لا تعرف طريقها إلى الإشباع والتحقق لأنها ستصطدم بالأنا وإذا تجاوزته وجدت صخرة الأنا الأعلى،"فالنظام السيكولوجي الذي يتصف –على عكس الهو- بالتعقل والرزنامة والحكمة ،لذا فإن همه الأساسي هو تلبية رغبات الهو بشكل يتلاءم مع الواقع ولا يثير غضب الأنا الأعلى ".[3]الذي يمثل جميع القيم الأخلاقية من عادات وتقاليد اجتماعية مشكلة جزء كبيرا من الكيان الداخلي بفعل الأوامر والنواهي على ما ينبغي القيام به وعدم القيام به ،وبهذا نستطيع القول أنه كلما كانت الشخصية سوية كانت درجة قوة الأنا عالية ،وإذا كان العكس فإن الشخصية منحرفة ،ورغم تقسيم فرويد لهذه العناصر إلا أنه لا يمكن للجهاز النفسي الاستغناء عن أي وحدة مقابل الأخرى فلكل عنصر من هذه العناصر وظيفة معينة ،ويبقى الأنا هو ذاك الذي يمثل الحكمة وسلامة العقل على خلاف "الهو"

أما في العربية فيرتبط "الأنا"على المستوى النحوي بمنظومة الضمائر "[4] أي أنا تعني ذاتي وفي هذا الإطار يعرف أحمد ياسين السليماني :"الأنا"على أنه :"ضمير متكلم قائم بذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته ،وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره ،وإن كان منتجا له،وناتجا عن علاقته به".[5] وفي هذا التعريف البسيط الخالي من التراكيب الفلسفية والنفسية نجد أن "الأنا"هو المنفر د والمستقل بذاته عن الغير –حتى لو كانت تربطنا معه علاقته "فأنا"تعني ذاتي، نفسي في مقابل ذلك غير الذي اختلفت عنه.

مفهوم الآخر :

[1]أحمد ياسين سليماني : التجليات الفنية لعلاقة الأنا بلآخر في الشعر المعاصر ، ص191 .
[2]مأمون صالح : الشخصية(بناءها ، أنماطها ، اضطراباتها) ، دار أسامة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2008 ، ص21 .
[3]مدحت أبو النصر : إدارة الذات المفهوم والأهمية والمحاور ، دار الفجر ، مصر ، ط1 ، 2008 ، ص32 .
[4]عباس يوسف الحداد : نفس المرجع الســـــابق ص187 .
[5]أحمد ياسين سليماني : التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر ،نفس المرجع السابق ، ص 404 .

أ- **لغة :**جاءت لفظة- آخر- في القرآن الكريم في قوله تعالى :"فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما "[1]

وردت كلمة الآخر في لسان العرب بمعنى "أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والآخر بمعنى غير ،كقولك رجل آخر وثوب آخر واصله أفعل من التأخر ، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفا لسكوتها وانفتاح الأولى قبلها،وتصغير" آخر " أو يخر والجمع آخرون،ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث..." [2] وفي معجم الوسيط يكاد تدفق المفهوم مع مفهوم لسان العرب ف"الآخر " :تأخر والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده ،وتقهقر عنه ولم يصل إليه ،والآخر أحد الشيئين ،ويكونان من جنس واحد "[3] ومن هنا نستنتج أ ن الآخر جاء بمعنى الغير والمخالف ،أما في قا موس المحيط فورد "الآخر"بمعنى :"الآخر في الأصل الأشد تأخرًا في الذكر ثم أجري مجرى غير ،ومدلول الآخر وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته، (...) وقولهم جاء في أخريات الناس وخرج في أوليات الليل يعنون به :الأواخر والأوائل ".[4]

ومن هذه التعريفات الأولية تبين لأنه ليس للمصطلح دلالة سوى الغيرية المخالفة والمعارضة .

ب- **الآخر اصطلاحا :**إن الآخر في أبسط صوره هو مثيل نقيض "الذات "(الأنا) فهو بكل ما كان موجودا خارج الذات المدركة ومستقلا عنها ،"وفي تاريخ الفكر ،كما في العلوم الإنسانية ،إختلفت موضوعات الآخر –وما تزال –مكانة بارزة نظرا لارتباطها

الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة :الأنا /الذات –الهوية (...)فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقرابة و الصداقة والجوار ،أو كالمنافسة والخصومة والعداء....

وهذه التجارب وسواها تحدد بتنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل ".[5]

تمثل هذه العلاقة الناتجة عن الاحتكاك بين الأفراد داخل مجتمع واحد أو بين مجتمعات وثقافات إلى التوصيل و الانسجام أو إلى عدم التكافؤ والاحتلال والعنف وغيرها.

[1] سورة المائدة : الآية 107 .
[2] ابن منظور : لسان العرب ، ص13 .
[3] إبراهيم مصطفى وآخرون : معجم الوسيط ، ص05 .
[4] بطرس البستاني : محيط المحيط ، ص05 .
[5] ابن سالم حميش : في معرفة الآخر ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط2 ، 2003 ، ص05 .

وقد شاع مصطلح الآخر في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر (jean paulsartre) وميشيل فوكو(michelfoucault) و"جاك لاكان")jacquelacan) ،وإيمانويل ليفيانس(emmanuellevinas)،وغيرهم .

" ولعل سمة "الآخر" المائزة هي تجسيده ليس فقط كل ما هو غريب أو ما هو غيري

بالنسبة للذات أو الثقافة ككل ،بل أيضا كل ما يهدد الوحدة و الصفاء وبهذه الخصائص امتد مفهوم الغيرية هذا إلى فضاءات مختلفة تمثل التحليل النفسي والفلسفة الوجودية والظاهراتية".[1]

فالآخر بالنسبة إلى "سارتر" :شأنه في ذلك شأن" لاكان " ،عامل فعال في تكوين الذات إذ:"يرى سارتر أن وعي الذات الوجودي يكون بناء على الطرف الآخر ،بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتين لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي "ما كان " و"ماسياتي" فهذا الوضع يجعل الكينونة تصرف بطريقة مخجلة بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الاختيار ،لذلك أختتم سارتر مسرحيته "لا مخرج" بمقولته المشهورة "الآخرون هم الجحيم "[2]

فلقد ربط سارتر بين الآخر والجحيم إذ جعل أن الآخر بالنسبة لنا هو الجحيم .

أما عند" فوكو " فإن الآخر متعلق بالذات تعلق لا فكاك منه ،شأنه في ذلك شأن إرتباط الحياة بالموت ،فالآخر بالنسبة إلى" فوكو "هو "الهاوية "أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب ".[3] وكما يرى فوكو فإن الآخر هو الموت بالنسبة للجسد الإنساني .

"إن الآخر عند فوكو هو "اللا مفكر "فيه في الفكر نفسه ،أو هو الهامشي الذي ستبعده المركز ،أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر ،لكنه جوهري أيضا بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون آخر ،أما على مستوى الخطاب ،فالآخر هو معالم الإقناع والفصل الذي يحاول التاريخ استبعادها ليؤكد استمرار يته" [4] وهنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة فهو فقط يختلف عن "الأنا "ولكل وجهة نظره يقول "بوشعيب الساوري" "الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه محكومة بالتصادم و المواجهة ".[5]

[1] ميجانالروليود : سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي ، (إضاءة لأكثر من تسعين تيازا ومصطلحا نقديا معاصرًا) ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص21.
[2] (ينظر) ، ميجان الرويلي ود ، سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، ص 22 .
[3] (ينظر) ، نفس المرجع السابق ، ص22.
[4] (ينظر) ، نفس المرجع السابق ،ص22.
[5] (ينظر) ، نفس المرجع السابق ، ص22 .

ومن كل ما سبق نستنتج أن الآخر هو الغير سواء كان الخصم الذي اصطدم مع الذات وكان معاديا لها ومتمردا عليها أو كان صديقا تعاطف معها وانجذب نحوها أو بادلها الحب بالحب ،لأنه في كل الأحوال لا يمكن أن يعيش الأنا بغياب الآخر لأنهما رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما (انفصال ، تواصل ...) فهما بالضرورة متلازمان .

2- صورة الأنا الإسلام :

الغماري من خلال أشعاره كلها صاحب رسالة ،ورسالته في خدمة الإسلام :"إن الفكرة الأساسية التي تدور حولها تجارب الشاعر هي العقيدة الإسلامية بكل أبعادها الممتدة عبر الزمان والمكان ، وبكل فتوحاتها في نفس الإنسان وعقله وطموحاته ". [1] لذلك سنحاول أن نبين بعض هذه الصور :

أ-البحث عن الأنا واكتشافها :

تسعى لأنا لمعرفة ذاتها من خلال الأخر ،هذا الأخير الذي يستوجب عليها إقصاءه لإثبات ذاتها ، وهذا ليس بالأمر البسيط.

ويبدو أن الأنا تعيش حالة من الانشطار والانقطاع بينها وبين عقيدتها الإسلامية ،وهذا نتيجة ميلها للماديات ،حيث لا يوجد: "هناك سوى عجلة الزمن.. ولكن مع معاد من العقائد مكرور ..ومع تطلعات إلى الأسفل ،حيث الطين الآسن بعيدا عن سموات الروح وعواملها ". [2]

يقول الغماري:

أما رفت رموز ...كم رعيناها

تضم الكون والأضواء والأحياء جفنها

نسافر في حناياها

تفتش عنمعاني الشوق والإيمان والتوحيد والوحدة

وتنبت غربة فينا مـــــدى

يتسكع العدم [3]

[1] شلتاغ عبود شراد :الغماري شاعر العقيدة الإسلامية ، دار رمدني ، الجزائر ، 2003 ، ص73 .
[2] نفس المرجع السابق ، ص74 .
[3] مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 1982 ، ص44 .

. يبدو من خلال هذه الأبيات أن معرفة الأنا لا تتم إلا بالعودة إلى الباطن والتوغل فيه،وهذا يدفع إلى شعور عميق بالألم ،مثال ذلك :الغربة ،العدم، السأم ....الخ ،وهذا يدل على سعي الأنا الدائم في التفتيش عن روح الإسلام الضائعة ومثال ذلك :الشوق ، الإيمان ، التوحد والوحدة .

وقد اكتشفت الأنا ذاتها من خلال معانقة العقيدة الإسلامية فبحبها قد ملكت على الأنا ذاتها حتى وصلت بها إلى حالة من التوحد والحلولية،فنجد أن كلا الطرفين أصبح يمثل مرآة للآخر ، فالأنا ترى صورتها منعكسة في العقيدة الإسلامية كما تنعكس هذه الأخيرة في كل جزء من الأنا ، وبهذا تكون الأنا قد استكملت وعيها الذاتي بوصولها إلى الحقيقة الإسلامية التي أخرجتها من دائرة اغترابها .

ب- الإسلام والآخر:

إنّ اعتراف الأنا بارتباطها وتمسكها بالعقيدة الإسلامية ومن انجر عنه عنه من أدى جعلها تشعر بحجم الفارق الذي يميزها عن الآخر ،هذا الأخير الذي لم يتوقف عن محاربتها على مر السنين ،وهذا لا يمكن تجاوزه إلا بالصمود وإبداء مقاومة تجاهه ،وبهذا تصبح هي الفاعلة بعدما كانت خاضعة للفعل .

يقول محمد الغماري:

قتلوها ألف مرة

صلبوها ألف مرة

أحرقوها ألف مرة

زرعوا لشوك على الأعتاب

مدّوا ألف صخرة

واستوت ياكبرها البدري مهرة

خطرت في هامة الشمس

وفي عمق المجرة [1]

3-صورة الأنا /الوطن :

[1] مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص72 .

يبدو الغماري من خلال شعره أنه من الشعراء الملتزمين لوطنهم ،فالوطن بالنسبة للغماري جزء لا يتجزأ من ذاتيته في كل أبعادها التاريخية والحضارية وحتى الجغرافية ، وهذا الارتباط والحب بالوطن يأخذ أشكالا عديدة كالارتباط بالأرض ،أو وصف الطبيعة ...الخ.

يقول ألغماري:

أهواك يا وطني وأعبد الله

والورد أعشقه والشمس أهواها

لا الليل يحجبها لا الليل يحجبها

ولا عوادي العدى تعدو ...فأنعاها

أحببت يا وطني فيك الورود الملاح

تنساب في خاطري فيستحم الصباح

وتنتشي في دمي حلمًا :فيغفو الأقاح[1]

فالشاعر يعبر عن حب وطنه بألفاظ عديدة منها :(أهواك، أعشق ،أحببت...)،فشعره يختلف في طريقة الوصف عن باقي الشعراء الجزائريين بحيث :"لم يكن فن الوصف في مستوى جمال الطبيعة الجزائرية سواء من حيث كمية هذا الشعر أومن حيث مستواه الفني" .[2]

فهذه المشاهد الطبيعية هي جزء من الوطن تعبر عن العلاقة القوية التي تربط بين الأنا و الوطن .

ومهما كان مقدار الحب الذي تكنه الأنا للوطن إلا أنّ الآخر يحول دون هذه العلاقة فينغصها ويحاول إحداث الشرخ فيها ،إلا أنّ الأنا تؤكد مرة أخرى إخلاصها للوطن في مقابل خيانة الآخر له .

يقول الغماري:

في كل قصة حب غصّه ركضت

[1] مصطفى محمد الغماري : أغنية الورد والنار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص196 .
[2] عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، الدار العربية للكتابة ، ليبيا ، تونس ، ط 3 ، 1977 ، ص178 .

باسم الجياع ...وغاصت في مدى البصر

بحبك البكر ما تاجرت يا وطني

وفيك ما تاجروا بالعين والأثر [1]

كما تخلص الأنا إلى حقيقة العلاقة الإيمانية بين ما يمثل وجدان الأنا الجمعي وما هو تاريخي ،إذ حب الوطن لا يمر إلا عبر سنن الإسلام .

الحب يا وطني بعد هو الإسلام

مجاهدون به لتورق الأيام

نحيا فواصله ولتسقط الأصنام [2]

فتبرز الأنا الجمعية من خلال (الواو والنون في مجاهدون ،ونون الجماعة في نحيا) لتؤكد إيمانها العميق برسالة الإسلام التي تستوجب عليها احتضانها ومحاربة الآخر الذي انحرف عن التصور الإسلامي من خلال فعل الأمر (ولتسقط) المرتبط بكلمة " الأصنام " التي تعبر عن اختلال في الرؤية العقائدية بين الأنا والآخر .

وتأخذ علاقة الأنا بالوطن أشكال أخرى كالمرأة المحبوبة أو الأم :

لي من هتافك يا أماه ...قافيتي

وفي ضلالك ...كم تخضر ألحاني

حرب على السلم ...ناعي الضوء يا وطني

ناعيك فاصلب على أسوار إيماني [3]

كما تتجلى صورة الأنا /الوطن من خلال فترتين زمنيتين: الماضي والحاضر

أ- الماضـــي : ويرتبط الحديث عن الوطن في الشعر الجزائري بالثورة.

أ -1-الثورة:

[1] مصطفى محمد الغماري : أغنية الورد والنار، ص193 .
[2] مصطفى محمد الغماري : نفس المرجع السابق
[3] مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ، ص57.

كان للثورة التحريرية لأثر الفاعل في إعطاء صورة جديدة للأنا يقول:

الحر يولد من جديد في المآسي لا الطرب

لا كان من ألف الضياع المرّ واحتراف الطلب

الحق يدرك بالحديد وليس يدرك بالخطب

وقضى الجهاد فمد أوراس شموسا من غضب

وامتد من أبعاده سبعًا مضيئات خصب

بدماء من كانوا فكان الوعد يخترق الحجب .[1]

فمن خلال الرغبة في التعبير والخروج من الوضع الذي عاشوه إلى وضع أحسن وذلك بالجهاد ،فظهرت من صورة مخالفة لسابقتها ،فبعدما كانت هي المفعول فيه أصبحت الفاعل.

أ-2- الشهيـــــد:

إنّ الحديث عن الثورة يستوجب الحديث عن الفاعل الأساسي فيها وهو الشهيد.

شهداؤنا بالأمس جرح مزهر

سيظل منزرعًا على أيدينا

سيظل يسكر بالضياء ملاحمي

فاضم فيه النخل والزيتونا

أرويه..تقرؤني القصائد ثورة

عرباء ..هما رافضا.. وجبينًا [2]

وبهذا لقد ساهم الشهيد أيضا في رسم لأنا عن طريق التضحيات الحاسمة التي قدمها لوطنه الذي يعتبر أناه والتي ترسخت في الذاكرة الجمعية (سيظل يسكر بالضياء ملاحمي) وهو جرح دارس في أعماقها لكنه جرح مزهر سيؤتي أكله في المستقبل القريب ،وهذا ما نلاحظه في (سيظل)كما توجد أبيات وردت فيها أفعال الحاضر (أضم،أروي ،تقرؤني) وتتجسد من خلالها صورة الأنا عبر ضمير المتكلم المستتر (أنا) وياء المفعولية وهي تدل

[1] منير سلطان : الصورة الفنية في شعر المتنبي ، منشأة المعارف ، مصر ، ط 3 ، 2002 ، ص 222 .
[2] مصطفى محمد الغماري : نقش على ذاكرة الزمن ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982 ، ص 127.

على أن رمز الشهيد مازال حاضرا في الذاكرة الجمعية ،كما تدل لفظتا النخل والزيتون إلى الانتماء إلى الأرض التي ضمت الشهيد وهو الوطن والثورة والعلاقة التي تربطهما.

ب –الحـــاضـــر

تبدو الأنا في الحاضر مختلفة عما كانت عليه في الماضي ،فعندما كانت تظهر في صورة من التفاؤل والكفاح والكرامة وكل ما هو إيجابي تتحول بعدها إلى كل ما هو سلبي إلى درجة الإخناء للأخر وهنا تفضل الأنا الموت على حياة الذل والمهانة، يقول الغماري :

حين يغزو الظلام أخصان أرض

فمحال أن تبصر الأجفان

حين تعنو الظلام أحضان الأرض

حين تعنو الجباه لليل ...أولى

أن تضمي الجسوم يا أكفان

تتساوى النسور والغربان [1]

فالأنا تريد التعبير عما هو يخص واقعنا الراهن وقد ارتكز على :"أقل الأزمنة تناهيا وهو اللحظة " [2]،فجاءت الأفعال المضارعة متتابعة (يرنوا،يجتر،يغزو) والغرض منها هو تكثيف الوصف لصورة الأنا في الحاضر.

كما نجد من القيم التي عمل الحاضر على تغيبها اللغة العربية التي تعد من أهم الرموز التي تشكل الأنا،وإذا حاولنا أن نبحث أكثر عن السبب الحقيقي الذي جعل صورة الأنا توصف بالسوداوية فإننا نجد أن أهم مرتكز تقوم عليه هويتها قد غاب وتمزق ألا وهو العقيدة الإسلامية:

يا وطني كم ذا يدور الزمن

وفي يديه للبلاد الفتن

يغالب السمحاء فيك الوثن .[3]

[1] مصطفى محمد الغماري : نفس المرجع السابق ، ص13.
[2] فوزي عيسى : النص الشعري وآليات القراءة ، منشأة المعارف ، مصر ، 1997 ، ص 174.
[3] مصطفى محمد الغماري : براءة أرجوزة الأحزاب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1994 ، ص57 .

واستبدال عقيدة الإسلام بعقيدة الأوثان من أعظم الفتن التي يصاب بها الوطن وتسلب منه ذاته ،فالفعل (يغالب) في البيت الأخير يقوم بترجيح كفة هذه العقيدة على حساب الدين الإسلامي .

وبالتالي نخلص إلى أن الشاعر أراد أن يضعنا أمام صورتين متناقضين:

ماض عريق زاخر وحاضر بائس ذليل هذا الحاضر الذي جعل الشاعر يحن إلى الماضي ويستعيد أمجاده.

ثانيا:صورة الأنا في مخيال الآخر:

لقد تجسدت صورة الأنا في مخيال الآخر من خلال:

1-صورة الأنا/ الرجعية

كل ذات وأي ذات لابد لها من آخر تحاول من خلالها التعبير عن مكنوناتها ومميزاتها فبدون هذا الآخر فإن هذه الذات قد تكون موجودة بشكل موضوعي ولكنها لا تعي هذا الوجود وبالمقابل نجد أن إدراك الآخر للأنا أصبح يمثل لديه ضرورة حتمية للتعرف على ذاته ، لذلك أيقن أن الآخر بالنسبة إليه هو الإسلام فراح يكيل له كل أنواع السلب والنهب بهدف إدانته بدءا من جعل بنيته نمطية وأهله رجعيين ، وهذا ما سنكتشفه في النموذج الآتي :

يقولون:ما الرحمن ؟أين ؟وما الهدى؟

كلام قديم ...ليس يجدي مهزأ

وما ذاك ...والثورات فتح مقدس

جديد لأبواب العقول...ومبدأ

شيوعية حمراء ....تشفي غليلهم

ولكنها تدمي القلوب ...وتظمئ

يقولون:....دعنا من قديم يكرر

فما الدين إلا للشعوب مخدر

ومن يتغنى بالديانة ....ويشعر

فمن كان منهم ....يا سلام على الحِجى

على الفكر في عصر العلوم ينور

وأصبح في ركب الحضارة سائرا

وإن كان أعمى....فهو أحور مبصرا [1]

يوضح المقطع الشعري عن علاقة التوتر والصراع بين الأنا والآخر وهذا من خلال الفعل (يقولون) الذي يكشف عن حضور الآخر بصفة ظاهرة في واو الجماعة ، كما يشير إلى نقطة الانطلاق في تحديد الآخر لملامح الأنا.

والفعل (يقولون) يشير إلى نظام لغوي يعبر عن رغبة ملحة في معرفة كل من الأنا والآخر ذالك أن : "اللغة تعيد إنتاج الواقع ومدام أنه لا وجود ثمن لكفر دون لغة فإن معرفة العالم ومعرفة الآخرين بل معرفة الذات يحددها اللسان" [2]

وقد حصر الآخر الأنا في جانب واحد وهو الذين الإسلامي من خلال قوله : (ما الرحمان؟ ، ما الهدى؟...)فهو يصور الذين أنه مجرد كلام قديم تجاوزها الزمن ، أمام الأفكار الجديدة .

إن هذه الصورة التي شكلها الأخر لئن كانت تصف الأنا فإنها تشير مرة اخرى إلى الآخر ذاته ، فهو حين أطلق هذه الصفة على الأنا (الرجعية)فإنه لطالما عانى الخضوع والإدعان لأحكام الكنيسة الجائرة ، لذالك فقد ثار على هذا الوضع واعتبره من العصور الغابرة ولكن على اختلاف وتشابه بين هذا وذاك ، كما تكشف هذه الأحكام بين الخلفية التي انطلق منها الآخر في عدائه المستمر للذين الإسلامي مهي الخوف من هذا الذين لإعتقاده بأنه يهدد كينونته ووجوده . تبرز الأنا عبر لكن ، لتعبر عن موقفها من هذا البديل المتمثل في الشيوعية ، فهي ترفضه رفضا مطلقا.

2-صورة الأنا الهمجية :

إن نظرة الآخر الدائمة للأنا بعين الاحتقار والتقزيم جعله يرسم عنه صورة همجية :

ها ضوء يا طير السلام ولم تكن

إلا جناح الخافق الأوّاب

ورأو غناءك في الضحى همجية

تؤدي ندامى الجنس والأعناب

وهم يزكي بعضهم بعضا به

تأبى الخيول السُمر غير صهيلها

[1] مصطفى محمد الغماري : اسرار الغربة ، ص33.

[22] جاك لكان : اللغة : الخيالي والرمزي ، إشراف مصطفى المنساوي ، سلسلة بين الحكمة ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط 1 ،206 ، ص 101 .

إن غربوا ....أشرقت بالأحساب [1]

تبين هذه المقاطع الشعرية الظلم الواقع على الأنا من طرف الآخر ويتجلى ذالك من خلال الفعل (هاضوك) الذي يدل على التحطيم ، والهمجية هي صفة للحيوان وليسى للبشر :

"الإبل التي تشرب دفعة واحدة والغنم المترولة يموج بعضه في بعض بلا راع " *

والإنسان فضله على الله سائر المخلوقات وإذ أطلق صفة الهمجية على الإنسان فأكيد أنه يقصد إيذائهم (تؤدي ندامى الجنس والأعناب) والأمثلة على ذلك كثيرة والهدف واحد وهو محاولة تشويه الشريعة الإسلامية والقضاء عليها .

3-صـورة الأنـا التخلف:

تعد صورة التخلف من أبرز الصور التي رسمها الآخر في مخيلته عن الأنا (الشرق) في مقابل الآخر (الغرب) المتقدم عنه ,من أمثلة ذالك المقطع الشعري التالي:

الشرق في مكانه يخور !

والغرب في مداره....يدور...

الشرق في أسماره أسمار !

والغرب في أوطاره أوطار ![2]

تحاول الأنا في هذه الأبيات أن تبين حضورها الذي غيب في السابق حيث نابت عنهما صفاتهما المغلوطة ،وتبين الاختلاف الواضح بينهما على مستوى اللغة فأين تحضر الأنا يغيب الآخر ، وحين يحضر الأنا يغيب الآخر وبالتالي لا مجال للمقارنة والمشابهة بينهما ، فحين يقول الشاعر (الشرق في مكانه يخور) تدل على إعلان الآخر ذالك عنها وهي تدل على السقوط دون أي مقاومة تذكر، عكس الفعل(يدور) الذي يشير إلى الحركة والتغيير المشار به إلى الآخر كما تدل كلمة (أسماء) على تأكيد واقع التخلف المشار به إلى الشرق بداية ، وقد بنى الغرب هذه الصورة عن نفسه عن طريق التقدم العلمي والتكنولوجي الذي وصل إليه وأنه حامل مشعل الحضارة .

ثـــــالثا : صـــورة الآخـــــر في مخـــيال الأنـــا :

كما رصدنا من قبل صورة الأنا في مخيال الآخر أيضا يرسم الشاعر صورة الآخر في مخيال الأنا:

[1] مصطفى محمد الغماري : الهجرتان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1994 ، ص30 ،31 .
*ويقال هجج وهاجج للزوال من الناس والحمق. ينظر : لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، ص 962 .
[2] مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، ص103 .

1-صـــــورة الآخـــــر/ الأمة:

يبدوا الشعور بالتناقض بين الأنا والآخر عند الشاعر الغماري بالاتساع أكثر فأكثر حيث لم يعد هذا الأخير ينحصر في شخص أو مجموعة فقط بل تعدى ذالك إلى مجتمع بأكمله :

وأشاحت بوجهها "أمة العار "

تزرع الشر في بلادي ويغريها

فلول ...محن حب الرومان

حنقت كالسعلاة *.....يحفر فيها

ألف عار ....يعتريها امتهان

تسكب الحقد في نفوس بريئاتِ

...كم يرمي به الأفعوان

أتراها تمثال لؤم أثيم

نافخ فيه روح الشيطان ؟[1]

من خلال هذا المقطع الشعري تتضح وسمة العار التي الصقتها الأنا بالأخر| الأمة والدلالة على ذالك لفظة (الشر) التي تعبر عن حجم الأذى الكبير الذي سببته للأنا ، كما تعبر عن مشاعر الكره والمقت الذي تسببه الأنا للآخر.

وتعكس أيضا الأنا من خلال أعماقها ، يقول الغماري :

أسفا يا أمتي مدنعانا الأسف

آه...أروي غربتي من دمي ....أغترف

عجب ملء الفؤاد لو يفيه العجب

عم في الأرض الفساد لا تسل ما السبب ؟

عرب نحن صحيح أم وجوه من خشب

ومآ فينا قروح غائم فيها النسب

*السعلاة والسعلاء والسعلى أنثى الغول أو الغول ج سعالى وسعليات ، ينظر : لويس معلوف : المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المكتبة الشرقية ، لبنان ، 1956 ، ص345 .

[1]مصطفى محمد الغماري : نقش على ذاكرة الزمن ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982 ، ص45-46 .

لست أدري ما هو أيسار أم يمين

والخطايا في خطانا ومرايانا ظنون

لست أدري أي درب سادر فيه الحنين؟

في زمان الحر والقـــ ر وأسئلاء السنين [1]

إنّ هذه الأبيات تعبر عن الدراما الموجودة داخل النفس :

"فالإنسان والصراع وتناقضات الحيات هي العناصر الأساسية لكل قصيدة لها هذا الطابع الدرامي، فالإنسان في كل تجربة من تجاربه يخوض معركة مع نفسه أحيانا ، أي مع ذاته ، وأحيانا أخرى مع الآخر " [2] فالآخر هو المذنب في الحالة التي آلت إليها الأنا من ضياع وسأم واغتراب ذاتي وشعور حاد بالفشل (الفساد ، قروح ، خطايا ،رقص ، قصف)كلها ألفاظ تؤكد حالة الأنا التي آل إليها وعجزه التام عن التحرك أو إحداث أي تغيير وإصلاح الأنا والعلاقة بينها وبين الآخر.

2-صورة الآخر / الغرب:

ويتجلى من خلال:

أ-صورة الغرب / الحضارة:

تنظر الأنا إلى حضارة الغرب نضرة نقص لأنها حضارة دمرت الإنسان وجعلت منه رهينة الماديات بحجة التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي أبهر شعوب العالم:

أمقابر الإنسان ما شـــادوا

وأسمـــــوه حضـــارة؟

ومآتم الوجدان تلك أم التسيب والدعارة ؟

رممٌ ويُومٌ مُرة الأصـــداء

أم قيـــم معـــاره؟ !

صرعن ضحايا العصر من كأس

بما صنعوا مُـــداره !

[1] مصطفى محمد الغماري : نقش على ذاكرة الزمن ، ص63.

[2] عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر (قضاياه ، وظواهره الفنية والمعنوية)، دار العودة ، لبنان ، ط 3 ، 1981 ، ص279 .

يا سجنيـــن الحـــرف...

تورق في ملامحه مداره ؟

الحرف يكفر بالألى سجنوه

واغتـــالـــوا نهـــــاره [1]

من خلال هذا النموذج يصف حضارة الغرب بأنها (مقبرة الإنسان) حيث افتتحه بأسلوب تعجب وذالك تعبيرا صريحا عن موفق الأنا من حضارة الآخر ' فكلمة (مقبرة) تحيل إلى الموت والهدم والفناء.

لقد قامت حضارة الآخر على التقدم العلمي وهذا ما هو إلا زخرفا ماديا فالحضارة لا تقوم فقط على الماديات وبهذا فهي تحمل عديدا من التناقضات منها تغييبها للقيم الإنسانية التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات وأعلنت التملص من كل القوانين والشرائع والتنصل حتى من أرسخ المعتقدات التي يؤمن بها العربي نفسه.

وعندما تتعرض الأنا لبعض مواطن النقص في حضارة العرب تسعى إلى نفيه وذالك من خلال نفي هذا القمع عنه لإثباته لنفسها' ولقد تميز الفكر الغربي مند العصور الوثنية بدحضه للديانات السماوات ' والأنا تؤكد على رفضها لحضارة الآخر عن طريق تمسكها بدينها الإسلامي الذي يفتقده الآخر وقام بمحاربته لفشله في صنع حضارة حقيقية وبهذا يتضح موقف الغماري من حضارة الآخر فهو يرفض أي تبعية للآخر ولكن هذا لا يعني عدم الانفتاح على الآخر .

ب-صورة الغرب / الاستعمار:

من أهم صور الغرب الاستعمار الذي طالما استخدمه الغرب كوسيلة لإثباته ذاته وذالك بالهيمنة والتسلط وتدمير الشعوب التي تعبر عن الأنا ' ويتعدى الاستعمار المباشر إلى استعمار غير مباشر يصل إلى السياسة والاقتصاد وحتى الثقافة يحاول الشاعر توضيحه من خلال ثنائية الأنا والآخر .

هنا سرقت من كنوزي الليالي

وأبدلت قيد الأسس بالجواهر

وباسم الحضارة تهوي الدروب

جراحا...وتكسر منها الخناجر

[1] مصطفى محمد الغماري : بوح في موسم الأسرار ' مطبعة لافوميك ' الجزائر ' 1985 ' ص78-79 .

على كل درب يُشرش غزو

قديم جَديدٌ ، خفي وظاهر

سجين النور...واعُمَرَاهُ

وباسمك يا نور تعلوا الحناجر

ولو حكم النور...كنت القتيل

أيا مسادرا في عفاف الجزائر [1]

استهل الشاعر هذا المقطع بمفردة (هنا) التي تشير إلى بلاد الجزائر ثم تحاول الأنا الكشف عن نفسها من خلال ياء المتكلم في (كنوزي) ، كما عبرت الأنا عن الآخر بكلمة (الليل) الذي يحمل معاني الظلم والطغيان والاستعباد:

"فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء الأخرى مغزى خطها " [2]، وتشير الأنا إلى الآخر وما تسبب فيه من سلب ثروات وخيرات البلدان المستعمرة وقتل الأبرياء وتشريد الأطفال وهتك أعراض النساء من خلال ألفاظ مثل (تهمي , تسكر , يشرش)، وبهذا فالشاعر قام بفضح نوايا ومؤامرات الغرب وبينت الأنا من خلال هذا النموذج وسيلة أخرى للاستعمار وهي ترويج مخترعات وتقاليد الغرب إلى الآخر الذي يقصد به الأنا "بدأت هذه المسلمة تتبلور في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهي استجابة تعود إلى بداية الامتثال للخطاب الاستعماري الذي رسخ فكرة بسيطة وواضحة وهي أن التحديث وكل ما يتصل به مع الحضور الغربي إلى الشرق " [3] ويعتبر النوع الأول الذي استعمله الغرب من الاستعمار قابل للردع عن طريق القوة أما النوع الثاني فهو أخطر من النوع الأول وأكثر تهديدا لأنه يتخذ طريقة ذكية وغير مباشرة ، حيث لا تتفطن الشعوب المستعمرة لذالك حتى تجد نفسها تابعة لها بطريقة حتمية ,وبالرغم من أن صورة الآخر التي رسمتها له الأنا تنهض في أفق المجادلة بين قطبين متناقضين إلا أن الأنا لا تعتبر هذا الأخر الاستعمار يشكل أزمنتها الذاتية ، فإذا كان الآخر قد أدمن القهر والطغيان فإن كل العتاب واللوم موجه إلى الأنا نفسها التي أضافت إلى الاستعمار معانات أخرى حيث قبلت بالذل والهوان وارت كست إلى الخصول والكسل فنسيت الماضي الزاخر بالأبطال والبطولات، وبقيت عاجزة عن التصدي لهذه الممارسات اللا إنسانية التي تشوه الإنسان وإرساء تعاليم أخرى له ، يقول أنور الجندي: "إن الغرب يعمل على محاصرة

[1] مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، دار هومة ، الجزائر ، ط 1 ، 2001 ، ص141 .

[2] عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ص 141 ، دار العودة ، لبنان ، 1981 ، ص198 .

[3] عبد الله إبراهيم :السردية العربية الحديثة (تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفكيك التنأة) ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص111 .

الإسلام والعلم الإسلامي بأكثر من قوى التغريب والغزو وممن يسيطرون على مراكز القوة في العالم وفي قلب الإسلام [1]

[1] أنور الجندي : الإسلام والغرب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1982 ،ص232 .

الفصل الأول :تجليات صورة الأنا والآخر

أولا :صورة الأنا

01-تعريف الأنا والآخر بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي .

أ-الأنـــا لغة:وردت كلمة الأنا في لسان العرب بمعنى :

« اسم مكنى وهو للمتكلم وحده ،وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن ،التي هي حرف ناصب للفعل ،والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحرف في الوقف ».

ولقد ورد في معجم الوسيط بمعنى "ضمير رفع منفصل للمتكلم ،أو المكتملة " **(2)**.فأنا هو وصف للشخص المؤنث أو المذكر على حد سواء مصورًا لذاته وعاكسا لشخصيته.

وهذا ما جاء في معجم المحيط "ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا ،معناه وجمعه نحن "**(3)**

ب-الأنا اصطلاحا :من الصعب تضييق النطاق على مفهوم الأنا لحصر معناه :"فهو مصطلح مراوغ يستعصى على التعريف والحد الاصطلاحي لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية (الفلسفة ،علم النفس ،علم الاجتماع ،علوم العربية ....الخ "**(4)**وقد تداخل مصطلح (الأنا) بين النفس والعقل عند الفلاسفة العرب ،"يقول يوسف حداد "معبرا عن دلك :"تطابقت الأنا بوصفها مع الذات المفكرة بوصفها عقلا ،وقد تأرجحت الأنا بين العقل والنفس في الفلسفة العربية حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل "**(5)**

ففي الفلسفة يعتبر الأنا بالمعنى التقريبي له "النفس "إذ نجد ذلك عند الكثير من الفلاسفة وعلى رأسهم "روني ديكارت "(1560-1596)بحيث يقول" أنا أفكر إذن أنا موجود"(**6**) فديكارت يرى بأن الفكر مرتبط بالوجود فكوننا موجودين يعني أننا دائما نفكر في صحة الأشياء من حولنا وهدا التفكير يبنى على أساس الشك ليصل بدلك إلى الحقيقة مفادها "أنا صفته التفكير" **(7)**

فعندما يكون الأنا يكون التفكير وعندما يكون التفكير يثبت الوجود ،ضمن هذا المبدأ الفلسفي تمكن ديكارت من إظهار مفهوم الأنا المفكرة، ودون هذا الوجود لا وجود للذات .

وفي علم النفس ركز علماء النفس في البداية على الجانب الشعوري من الشخصية كونه الجانب الأساسي لفهم سلوك الإنسان لكن بعد العجز في تفسير العديد من السلوكات ظهرت مدرسة التفكير النفسي مع سيغموند فرويد (1856-1939)" الذي يرى أن السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشخص وخاصة من خلال علاقته بوالديه"**(1)** وهو يرى أ ن كل ما ينتج من سلوك من قبل الشخص ما هو إلا فعل ناتج عن

الجهاز النفسي المكون من ثلاث أقسام وهي :الهو (الليبيدو)،الأنا (الضمير)، الأنا الأعلى (المجتمع).

فالهو هو المكونات الغريزية التي همها الأساسي هو الحصول على اللذة ودفع الألم ،إلا أن تلك الرغبات لا تعرف طريقها إلى الإشباع والتحقق لأنها ستصطدم بالأنا وإذا تجاوزته وجدت صخرة الأنا الأعلى،"فالنظام السيكولوجي الذي يتصف –على عكس الهو- بالتعقل والرزنامة والحكمة ،لذا فإن همه الأساسي هو تلبية رغبات الهو بشكل يتلاءم مع الواقع ولا يثير غضب الأنا الأعلى ".**(2)** الذي يمثل جميع القيم الأخلاقية من عادات وتقاليد اجتماعية مشكلة جزء كبيرا من الكيان الداخلي بفعل الأوامر والنواهي على ما ينبغي القيام به وعدم القيام به ،وبهذا نستطيع القول أنه كلما كانت الشخصية سوية كانت درجة قوة الأنا عالية ،وإذا كان العكس فإن الشخصية منحرفة ،ورغم تقسيم فرويد لهذه العناصر إلا أنه لا يمكن للجهاز النفسي الاستغناء عن أي وحدة مقابل الأخرى فلكل عنصر من هذه العناصر وظيفة معينة ،ويبقى الأنا هو ذاك الذي يمثل الحكمة وسلامة العقل على خلاف "الهو"

أما في العربية فيرتبط "الأنا"على المستوى النحوي بمنظومة الضمائر "**(3)** أي أنا تعني ذاتي وفي هذا الإطار يعرف أحمد ياسين السليماني :"الأنا"على أنه :"ضمير متكلم قائم بذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته ،وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره ،وإن كان منتجا له،وناتجا عن علاقته به".**(4)** وفي هذا التعريف البسيط الخالي من التراكيب الفلسفية والنفسية نجد أن "الأنا"هو المنفر د والمستقل بذاته عن الغير –حتى لو كانت تربطنا معه علاقته "فأنا"تعني ذاتي، نفسي في مقابل ذلك غير الذي اختلفت عنه.

مفهوم الآخر :

أ- **لغة :**جاءت لفظة- آخر- في القرآن الكريم في قوله تعالى :"فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما "(5)

وردت كلمة الآخر في لسان العرب بمعنى "أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والآخر بمعنى غير ،كقولك رجل آخر وثوب آخر واصله أفعل من التأخر ، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفا لسكوتها وانفتاح الأولى قبلها،وتصغير" آخر " أو يخر والجمع آخرون،ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث..."1) وفي معجم الوسيط يكاد تدفق المفهوم مع مفهوم لسان العرب ف"الآخر ":تأخر والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده ،وتقهقر عنه ولم يصل إليه ،والآخر أحد الشيئين ،ويكونان من جنس واحد "(2) ومن هنا نستنتج أ ن الآخر جاء بمعنى الغير والمخالف ،أما في قا موس المحيط فورد "الآخر"بمعنى :"الآخر في الأصل الأشد تأخرًا في الذكر ثم أجري مجرى غير ،ومدلول الآخر وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته،

(...) وقولهم جاء في أخريات الناس وخرج في أوليات الليل يعنون به :الأواخر والأوائل **(3)**"

ومن هذه التعريفات الأولية تبين لأنه ليس للمصطلح دلالة سوى الغيرية المخالفة والمعارضة .

ب- الآخر اصطلاحا :إن الآخر في أبسط صوره هو مثيل نقيض "الذات "(الأنا) فهو بكل ما كان موجودا خارج الذات المدركة ومستقلا عنها ،"وفي تاريخ الفكر ،كما في العلوم الإنسانية ،إختلفت موضوعات الآخر –وما تزال –مكانة بارزة نظرا لارتباطها

الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة :الأنا /الذات –الهوية (...)فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقرابة و الصداقة والجوار ،أو كالمنافسة والخصومة والعداء....

وهذه التجارب وسواها تحدد بتنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل ".(4)

تمثل هذه العلاقة الناتجة عن الاحتكاك بين الأفراد داخل مجتمع واحد أو بين مجتمعات وثقافات إلى التوصيل و الانسجام أو إلى عدم التكافؤ والاحتلال والعنف وغيرها.

وقد شاع مصطلح الآخر في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر ،وميشيل فوكو ،وإيمانويل ليفيانس ،وغيرهم .

" ولعل سمة "الآخر" المائزة هي تجسيده ليس فقط كل ما هو غريب أو ما هو غيري

بالنسبة للذات أو الثقافة ككل ،بل أيضا كل ما يهدد الوحدة و الصفاء وبهذه الخصائص امتد مفهوم الغيرية هذا إلى فضاءات مختلفة تمثل التحليل النفسي والفلسفة الوجودية والظاهراتية "(1) فالآخر بالنسبة إلى "سارتر" :شأنه في ذلك شأن" لاكان " ،عامل فعال في تكوين الذات إذ:"يرى سارتر أن وعي الذات الوجودي يكون بناء على الطرف الآخر ،بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتين لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي "ما كان " و"ماسياتي" فهذا الوضع يجعل الكينونة تصرف بطريقة مخجلة بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الاختيار ،لذلك أختتم سارتر مسرحيته "لا مخرج" بمقولته المشهورة "الآخرون هم الجحيم "فلقد ربط سارتر بين الآخر والجحيم إذ جعل أن الآخر بالنسبة لنا هو الجحيم .

أما عند" فوكو " فإن الآخر متعلق بالذات تعلق لا فكاك منه ،شأنه في ذلك شأن إرتباط الحياة بالموت ،فالآخر بالنسبة إلى" فوكو "هو "الهاوية "أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب ". (2) وكما يرى فوكو فإن الآخر هو الموت بالنسبة للجسد الإنساني .

"إن الآخر عند فوكو هو "اللا مفكر "فيه في الفكر نفسه ،أو هو الهامشي الذي ستبعده المركز ،أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر ،لكنه جوهري أيضا بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون آخر ،أما على مستوى الخطاب ،فالآخر هو معالم الإقناع والفصل الذي يحاول التاريخ استبعادها ليؤكد استمرار يته" (3) وهنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة فهو فقط يختلف عن "الأنا "ولكل وجهة نظره يقول "بوشعيب الساوري" "الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه محكومة بالتصادم و المواجهة "(4)

ومن كل ما سبق نستنتج أن الآخر هو الغير سواء كان الخصم الذي اصطدم مع الذات وكان معاديا لها ومتمردا عليها أو كان صديقا تعاطف معها وانجذب نحوها أو بادلها الحب بالحب ،لأنه في كل الأحوال لا يمكن أن يعيش الأنا بغياب الآخر لأنهما رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما (انفصال ، تواصل ...) فهما بالضرورة متلازمان .

2- صورة الأنا الإسلام :

الغماري من خلال أشعاره كلها صاحب رسالة ،ورسالته في خدمة الإسلام :"إن الفكرة الأساسية التي تدور حولها تجارب الشاعر هي العقيدة الإسلامية بكل أبعادها الممتدة عبر الزمان والمكان ، وبكل فتوحاتها في نفس الإنسان وعقله وطموحاته "(1) لذلك سنحاول أن نبين بعض هذه الصور :

أ-البحث عن الأنا واكتشافها :

تسعى لأنا لمعرفة ذاتها من خلال الأخر ،هذا الأخير الذي يستوجب عليها إقصاءه لإثبات ذاتها ، وهذا ليس بالأمر البسيط.

ويبدو أن الأنا تعيش حالة من الانشطار والانقطاع بينها وبين عقيدتها الإسلامية ،وهذا نتيجة ميلها للماديات ،حيث لا يوجد: "هناك سوى عجلة الزمن.. ولكن مع معاد من العقائد مكرور ..ومع تطلعات إلى الأسفل ،حيث الطين الآسن بعيدا عن سموات الروح وعواملها " (2) .

يقول الغماري:

أما رفت رموز ...كم رعيناها

تضم الكون والأضواء والأحياء جفنها

نسافر في حناياها

نفتش عن معاني الشوق والإيمان والتوحيد والوحدة

وتنبت غربه فينا مدى

يتسكع العدم 3

يبدو من خلال هذه الأبيات أن معرفة الأنا لا تتم إلا بالعودة إلى الباطن والتوغل فيه،وهذا يدفع إلى شعور عميق بالألم ،مثال ذلك :الغربة ،العدم، السأم ....الخ ،وهذا يدل على سعي الأنا الدائم في التفتيش عن روح الإسلام الضائعة ومثال ذلك :الشوق ، الإيمان ، التوحد والوحدة .

وقد اكتشفت الأنا ذاتها من خلال معانقة العقيدة الإسلامية فبحبها قد ملكت على الأنا ذاتها حتى وصلت بها إلى حالة من التوحد والحلولية،فنجد أن كلا الطرفين أصبح يمثل مرآة للآخر ، فالأنا ترى صورتها منعكسة في العقيدة الإسلامية كما تنعكس هذه الأخيرة في كل جزء من الأنا ، وبهذا تكون الأنا قد استكملت وعيها الذاتي بوصولها إلى الحقيقة الإسلامية التي أخرجتها من دائرة اغترابها .

ب- الإسلام والآخر:

إنّ اعتراف الأنا بارتباطها وتمسكها بالعقيدة الإسلامية ومن انجر عنه عنه من أدى جعلها تشعر بحجم الفارق الذي يميزها عن الآخر ،هذا الأخير الذي لم يتوقف عن محاربتها على مر السنين ،وهذا لا يمكن تجاوزه إلا بالصمود وإبداء مقاومة تجاهه ،وبهذا تصبح هي الفاعلة بعدما كانت خاضعة للفعل .

يقول محمد الغماري:

قتلوها ألف مرة

صلبوها ألف مرة

أحرقوها ألف مرة

زرعوا لشوك على الأعتاب

مدّوا ألف صخرة

واستوت ياكبرها البدري مهرة

خطرت في هامة الشمس

وفي عمق المجرة **(1)**

3-صورة الأنا /الوطن :

يبدو الغماري من خلال شعره أنه من الشعراء الملتزمين لوطنهم ،فالوطن بالنسبة للغماري جزء لا يتجزأ من ذاتيته في كل أبعادها التاريخية والحضارية وحتى الجغرافية ، وهذا الارتباط والحب بالوطن يأخذ أشكالا عديدة كالارتباط بالأرض ،أو وصف الطبيعة ...الخ.

يقول ألغماري:

أهواك يا وطني وأعبد الله

والورد أعشقه والشمس أهواها

لا الليل يحجبها لا الليل يحجبها

ولا عوادي العدى تعدو ...فأنعاها

أحببت يا وطني فيك الورود الملاح

تنساب في خاطري فيستحم الصباح

وتنتشي في دمي حلمًا :فيغفو الأقاح **(1)**

فالشاعر يعبر عن حب وطنه بألفاظ عديدة منها :(أهواك، أعشق ،أحببت...)،فشعره يختلف في طريقة الوصف عن باقي الشعراء الجزائريين بحيث :"لم يكن فن الوصف في مستوى جمال الطبيعة الجزائرية سواء من حيث كمية هذا الشعر أومن حيث مستواه الفني" **(2)**

فهذه المشاهد الطبيعية هي جزء من الوطن تعبر عن العلاقة القوية التي تربط بين الأنا و الوطن .

ومهما كان مقدار الحب الذي تكنه الأنا للوطن إلا أنّ الآخر يحول دون هذه العلاقة فينغصها ويحاول إحداث الشرخ فيها ،إلا أنّ الأنا تؤكد مرة أخرى إخلاصها للوطن في مقابل خيانة الآخر له .

يقول الغماري:

في كل قصة حب غصّه ركضت

باسم الجياع ...وغاصت في مدى البصر

بحبك البكر ما تاجرت يا وطني

وفيك ما تاجروا بالعين والأثر **(3)**

كما تخلص الأنا إلى حقيقة العلاقة الإيمانية بين ما يمثل وجدان الأنا الجمعي وما هو تاريخي ،إذ حب الوطن لا يمر إلا عبر سنن الإسلام .

الحب يا وطني بعد هو الإسلام

مجاهدون به لتورق الأيام

نحيا فواصله ولتسقط الأصنام1((

فتبرز الأنا الجمعية من خلال (الواو والنون في مجاهدون ،ونون الجماعة في نحيا) لتؤكد إيمانها العميق برسالة الإسلام التي تستوجب عليها احتضانها ومحاربة الآخر الذي انحرف عن التصور الإسلامي من خلال فعل الأمر (ولتسقط) المرتبط بكلمة " الأصنام " التي تعبر عن اختلال في الرؤية العقائدية بين الأنا والآخر .

وتأخذ علاقة الأنا بالوطن أشكال أخرى كالمرأة المحبوبة أو الأم :

لي من هتافك يا أماه ...قافيتي

وفي ضلالك ...كم تخضر ألحاني

حرب على السلم ...ناعي الضوء يا وطني

ناعيك فاصلب على أسوار إيماني **(2)**

كما تتجلى صورة الأنا /الوطن من خلال فترتين زمنيتين: الماضي والحاضر

أ- الماضـــي : ويرتبطالحديثعنالوطنفيالشعرالجزائريبالثورة.

أ -1-الثورة:

كان للثورة التحريرية لأثر الفاعل في إعطاء صورة جديدة للأنا يقول:

الحر يولد من جديد في المآسي لا الطرب

لا كان من ألف الضياع المرّ واحتراف الطلب

الحق يدرك بالحديد وليس يدرك بالخطب

وقضى الجهاد فمد أوراس شموسا من غضب

وامتد من أبعاده سبعًا مضيئات خصب

بدماء من كانوا فكان الوعد يخترق الحجب . **(1)**

فمن خلال الرغبة في التعبير والخروج من الوضع الذي عاشوه إلى وضع أحسن وذلك بالجهاد ،فظهرت من صورة مخالفة لسابقتها ،فبعدما كانت هي المفعول فيه أصبحت الفاعل.

أ-2- الشهيـــــد:

إنّ الحديث عن الثورة يستوجب الحديث عن الفاعل الأساسي فيها وهو الشهيد.

شهداؤنا بالأمس جرح مزهر

سيظل منزرعًا على أيدينا

سيظل يسكر بالضياء ملاحمي

فاضم فيه النخل والزيتونا

أرويه..تقرؤني القصائد ثورة

عرباء ..هما رافضا.. وجبينا **(2)**

وبهذا لقد ساهم الشهيد أيضا في رسم لأنا عن طريق التضحيات الحاسمة التي قدمها لوطنه الذي يعتبر أناه والتي ترسخت في الذاكرة الجمعية (سيظل يسكر بالضياء ملاحمي) وهو جرح دارس في أعماقها لكنه جرح مزهر سيؤتي أكله في المستقبل القريب ،وهذا ما نلاحظه في (سيظل)كما توجد أبيات وردت فيها أفعال الحاضر (أضم،أروي ،تقرؤني) وتتجسد من خلالها صورة الأنا عبر ضمير المتكلم المستتر (أنا) وياء المفعولية وهي تدل على أن رمز الشهيد مازال حاضرا في الذاكرة الجمعية ،كما تدل لفظتا النخل والزيتون إلى الانتماء إلى الأرض التي ضمت الشهيد وهو الوطن والثورة والعلاقة التي تربطهما.

ب –الحـــاضـــر

تبدو الأنا في الحاضر مختلفة عما كانت عليه في الماضي ،فعندما كانت تظهر في صورة من التفاؤل والكفاح والكرامة وكل ما هو إيجابي تتحول بعدها إلى كل ما هو سلبي إلى درجة الإخناء للأخر وهنا تفضل الأنا الموت على حياة الذل والمهانة، يقول الغماري:

حين يغزو الظلام أخصان أرض

فمحال أن تبصر الأجفان

حين تعنو الظلام أحضان الأرض

حين تعنو الجباه لليل ...أولى

أن تضمي الجسوم يا أكفان

تتساوى النسور والغربان (1)

فالأنا تريد التعبير عما هو يخص واقعنا الراهن وقد ارتكز على :"أقل الأزمنة تناهيا وهو اللحظة " (2)،فجاءت الأفعال المضارعة متتابعة (يرنوا،يجتر،يغزو) والغرض منها هو تكثيف الوصف لصورة الأنا في الحاضر.

كما نجد من القيم التي عمل الحاضر على تغيبها اللغة العربية التي تعد من أهم الرموز التي تشكل الأنا،وإذا حاولنا أن نبحث أكثر عن السبب الحقيقي الذي جعل صورة الأنا توصف بالسوداوية فإننا نجد أن أهم مرتكز تقوم عليه هويتها قد غاب وتمزق ألا وهو العقيدة الإسلامية:

يا وطني كم ذا يدور الزمن

وفي يديه للبلاد الفتن

يغالب السمحاء فيك الوثن **(3).**

واستبدال عقيدة الإسلام بعقيدة الأوثان من أعظم الفتن التي يصاب بها الوطن وتسلب منه ذاته ،فالفعل (يغالب) في البيت الأخير يقوم بترجيح كفة هذه العقيدة على حساب الدين الإسلامي .

وبالتالي نخلص إلى أن الشاعر أراد أن يضعنا أمام صورتين متناقضين:

ماض عريق زاخر وحاضر بائس ذليل هذا الحاضر الذي جعل الشاعر يحن إلى الماضي ويستعيد أمجاده.

ثانيا:صورة الأنا في مخيال الآخر:

لقد تجسدت صورة الأنا في مخيال الآخر من خلال:

1 -صورة الأنا/ الرجعية

كل ذات وأي ذات لابد لها من آخر تحاول من خلالها التعبير عن مكنوناتها ومميزاتها فبدون هذا الآخر فإن هذه الذات قد تكون موجودة بشكل موضوعي ولكنها لا تعي هذا الوجود وبالمقابل نجد أن إدراك الآخر للأنا أصبح يمثل لديه ضرورة حتمية للتعرف على ذاته ، لذلك أيقن أن الآخر بالنسبة إليه هو الإسلام فراح يكيل له كل أنواع السلب والنهب بهدف إدانته بدءا من جعل بنيته نمطية وأهله رجعيين ، وهذا ما سنكتشفه في النموذج الآتي:

يقولون:ما الرحمن ؟أين ؟وما الهدى؟

كلام قديم ...ليس يجدي مهزأ

وما ذاك ...والثورات فتح مقدس

جديد لأبواب العقول...ومبدأ

شيوعية حمراء ....تشفي غليلهم

ولكنها تدمي القلوب ...وتظمئ

يقولون:....دعنا من قديم يكرر

فما الدين إلا للشعوب مخدر

ومن يتغنى بالديانة ....ويشعر

فمن كان منهم ....يا سلام على الحجى

على الفكر في عصر العلوم ينور

وأصبح في ركب الحضارة سائرا

وإن كان أعمى....فهو أحور مبصرا (1)

وتعكس أيضا الأنا من داخل أعماقها، يقول الغماري:

أسفا يا أمتي مدنعان الأسف

آه ...أروي غربتي من دمي أغترف

عجب ملئ الفؤاد لو يفيه العجب

عم في الأرض الفساد لا تسل ما السبب

عرب نحن صحيح أم وجوه من خشب

ومآ قينا قروح غائم فيها النسب

لست أدري ما هو أيسار أم يمين

و الخطايا في خطانا ومرايانا ظنون

لست أدري أي درب سادر فيه الحنين

في زمان الحر والق ر واستلاء السنين (2).

إن هذه الأبيات تدل على الدراما الموجودة في داخل النفس: "فالإنسان والصراع وتناقضات الحياة هي العناصر الأساسية لكل قصيدة لها هذا الطابع الدرامي ' فالإنسان في كل تجربة من تجاربه يخوض معركة مع نفسه أحيانا ' أي مع ذاته ' وأحيانا أخرى مع الأخر " (3). فالآخر هو المذنب في الحالة التي آلت إليها الأنا من ضياع وسأم واغتراب ذاتي وشعور حاد بالفشل(الفساد' قروح الخطايا' رقص' قصف) كلها ألفاظ تؤكد حالة الأنا التي آل إليها وعجزه التام عن التحرك أو إحداث أي تغيير' وإصلاح الأنا والعلاقة بينها وبين الآخر.

2-صورة الأنا الغرب:

ويتجلى ذالك من خلال:

أ-صورة الغرب / الحضارة :

تنظر الأنا إلى حضارة الغرب نظرة نقص لأنها حضارة وحدت الإنسان وجعلت منه رهينة الماديات بحجة التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي أبهر شعوب العالم :

أمقابر الإنسان ما شادوا...

وأسموه حضارة؟

ومآتم الوجدان تلك أم التسيب والدعارة ؟!!

رمّمٌ ويُوم صُرة الأصداء

أم قيم صغاره؟

صرعن ضحايا العصر من كأس

لما صنعوا مُداره !!

ياسا جنبن الحرف....

تورق في ملاحمه مداره ؟

الحرف يكفر بالألى سجنوه

واغتالوا نهاره **(1)**

من خلال هذا النموذج يصف حضارة الغرب بأنها(مقبرة الإنسان)،حيث افتتحه بأسلوب تعجب وذالك تغييرا صريحا عن موقف الأنا من حضارة الأخر، فكلمة (مقبرة) تحيل إلى الموت والهدم والفناء.

لقد قامت حضارة الأخر على التقدم العلمي وهذا ما هو إلا زخرفا ماديا فالحضارة لا تقوم فقط على الماديات ،وبهذا فهي تحمل عديدا من التناقضات منها تغييبها للقيم الإنسانية التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات وأعلنت التملص من كل القوانين والشرائع والتنصل حتى من أرسخ المعتقدات التي يؤمن بها الغربي نفسه .

وعندما تتعرض الأنا لبعض مواطن النقص في حضارة الغرب تسعى إلى نفيه وذالك من خلال نفي بعض القيم عنه وإثباتها لنفسها، ولقد تميز الفكر الغربي منذ العصور الوثنية بدحضه للديانات السماوات،والأنا تؤكد على رفضها لحضارة الآخر ،عن طريق تمسكها بدينها الإسلامي الذي يفتقده الآخر وقام بمحاربتها لفشله في صنع حضارة حقيقية .

وبهذا يتضح موقف الغماري من حضارة الآخر فهو يرفض أي تبعية للآخر وهذا لا يعني عدم الانفتاح للآخر.

ب-صورة الآخر الاستعمار:

من أهم صور الغرب الاستعمار الذي طالما استخدمه الغرب كوسيلة لإثباته ذاته وذالك بالمعينة والتسلط وتدمير الشعوب التي تعبر عن الأنا ، ويتعدى الاستعمار المباشر إلى استعمار غير مباشر يصل إلى السياسة والاقتصاد وحتى الثقافة يحاول الشاعر توضيحه من خلال ثنائية الأنا والآخر.

هنا سرقت من كنوزي الليالي

وأبدلت قيد الأسس بالجواهر

وباسم الحضارة تهوي الدروب

جراحا ....وتسكر منها الخناجر

على كل درب يُشرش غزو

قديم جديد‘ خفي وظاهر

سجين النور ....واعُمَراهُ

وباسمك يا نور تعلوا الخناجر

ولو حكم النور ....كنت القتيل

أيا مسادرا في عفاف الجزائر. **(1)**

استهل الشاعر هذا المقطع بمفردة (هنا) التي تشير إلى بلاده الجزائر ثم تحاول الأنا الكشف عن نفسها من خلال ياء المتكلم في (كنوزي)‘كما عبرت الأنا عن الآخر بكلمة (الليل) الذي يحمل معاني الظلم والطغيان والاستعباد :

"فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء الأخرى مغزى خطها". **(2)**

وتشير الأنا إلى الآخر وما تسبب فيه من تشريد وسلب ثروات وخيرات البلدان المستعمرة وقتل الأبرياء وتشريد الأطفال وهتك أعراض النساء من خلال ألفاظ ك (تهمي ‘تكسر‘ يشرش)‘ وبهذا فالشاعر قام بفضح نوايا وآمرات الغرب وبينت الأنا من خلال هذا النموذج وسيلة أخرى للاستعمار وهي ترويج مخترعات وتقاليد الغرب إلى الآخر الذي يقصد به الأنا "بدأت هذه المسلمة تتبلور في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهي إستجابة تعود إلى بداية الامتثال للخطاب الاستعماري الذي رسخ فكرة بسيطة وواضحة وهي أنا التحديث وكل ما يصل به جاء مع الحضور الغربي إلى الشرق " (1)

ويعتبر النوع الأول الذي استعمله الغرب من الاستعمار قابل للردع عن طريق القوة أما النوع الثاني فهو أخطر من النوع الأول وأكثر تهديدا لأنه يتخذ طريقة ذكية وغير مباشرة ‘ حيث لا تتفطن الشعوب المستعمرة لذالك حتى تجد نفسها تابعة له بطريقة حتمية ‘ وبالرغم أن صورة الأنا التي رسمتها له الأنا تنهض في أفق المجادلة بين قطبين وتناقضين إلا لأن الأنا لا تعتبر هذا الآخر الاستعمار يشكل أزمتها الذاتية ‘فإذا كان الآخر قد أدمن القهر والطغيان فإن كل العتاب واللوم موجه إلى الأنا نفسها التي أضافت إلى الاستعمار معانات أخرى حيث قبلت بالذل والهوان وارت كست إلى الخص ول والكسل فنسيت الماضي الزاخر بالأبطال والبطولات ‘وبقيت عاجزة عن التصدي لهذه الممارسات اللا إنسانية التي تشوه الإسلام وإرساء تعاليم أخرى له ‘يقول أنور الجندي :"إن الغرب يعمل على محاصرة

الإسلام والعالم الإسلامي بأكثر من قوى التغريب والغزو وممن يسيطرون على مراكز القوة في العالم وفي قلب الإسلام "(2).

يوضح المقطع الشعري علاقة التوتر والصراع بين الأنا والآخر وهذا من خلال الفعل (يقولون) الذي يكشف عن حضور الآخر بصفة ظاهرة في واو الجماعة ،كما يشير إلى نقطة الانطلاق في تحديد الآخر لملامح الأنا .

والفعل (يقولون) يشير إلى نظام لغوي يعبر عن رغبة ملحة في معرفة كل من الأنا والآخر ذلك أن: "اللغة تعيد إنتاج الواقع ومدام أنه لا وجود ثمن لفكر دون لغة فإن معرفة العالم ومعرفة الآخرين بل معرفة الذات يحددها اللسان" (3)

وقد حصر الآخر الأنا في جانب واحد وهو الذين الإسلامي من خلال قوله: (ما الرحمان؟ ما الهدى ...) فهو يصور الدين كأنه مجرد كلام قديم تجاوزها الزمن ،أمام الأفكار الجديدة.

إن هذه الصورة التي شكلها الآخر لئن كانت تصف الأنا فإنها تشير مرة أخرى إلى الآخر ذاته ، فهو حين أطلق هذه الصفة على الأنا (الرجعية) فإنه لطالما عانى الخضوع والإدعان لأحكام الكنيسة الجائرة ، لذالك فقد ثار على هذا الوضع واعتبره من العصور الغابرة ولكن على اخلاف وتشابه بين هذا وذاك ، كما تكشف هذه الأحكام عن الخلفية التي انطلق منها الآخر في عداءه المستمر للذين الإسلامي وهي الخوف من هذا الذين لاعتقاده أنه يهدد كينونته ووجوده ، وتبرز الأنا عبر لكن لتعبر عن موقفها من هذا البديل المتمثل في الشيوعية فهي ترفضه رفضا مطلقا .

2-صورة الأنا الهمجية :

إن نظرة الآخر الدائمة للأنا بعين الاحتقار والتقزيم جعله يرسم عنه صورة همجية :

ها ضوء يا طير السلام ولم تكن

إلا جناح الخافق الأوّاب

ورأو غناءك في الضحى همجية

تؤدي ندامى الجنس والأعناب

وهم يزكي بعضهم بعضا به

تأبى الخيول السُمر غير صهيلها

إن غربوا ....أشرقت بالأحساب (1).

تبين هذه المقاطع الشعرية الظلم الواقع على الأنا من طرف الآخر ويتجلى ذالك من خلال الفعل (هاضوك) الذي يدل على التحطيم ، والهمجية هي صفة للحيوان وليسى للبشر :

"الإبل التي تشرب دفعة واحدة والغنم المترولة يموج بعضه في بعض بلا راع " (*)

والإنسان فضله على الله سائر المخلوقات وإذ أطلق صفة الهمجية على الإنسان فأكيد أنه يقصد إيذائهم (تؤدي ندامى الجنس والأعناب) والأمثلة على ذلك كثيرة والهدف واحد وهو محاولة تشويه الشريعة الإسلامية والقضاء عليها .

3-صــورة الأنــا التخلف:

تعد صورة التخلف من أبرز الصور التي رسمها الآخر في مخيلته عن الأنا (الشرق) في مقابل الآخر (الغرب) المتقدم عنه ,من أمثلة ذالك المقطع الشعري التالي:

الشرق في مكانه يخور !!

والغرب في مداره....يدور...

الشرق في أسماره أسمار!!

والغرب في أوطاره أوطار!! **(1)**

تحاول الأنا في هذه الأبيات أن تبين حضورها الذي غيب في السابق حيث نابت عنهما صفاتهما المغلوطة ،وتبين الاختلاف الواضح بينهما على مستوى اللغة فأين تحضر الأنا يغيب الآخر ، وحين يحضر الأنا يغيب الآخر وبالتالي لا مجال للمقارنة والمشابهة بينهما ، فحين يقول الشاعر (الشرق في مكانه يخور) تدل على إعلان الآخر ذالك عنها وهي تدل على السقوط دون أي مقاومة تذكر، عكس الفعل(يدور) الذي يشير إلى الحركة والتغيير المشار به إلى الآخر كما تدل كلمة (أسماء) على تأكيد واقع التخلف المشار به إلى الشرق بداية ، وقد بنى الغرب هذه الصورة عن نفسه عن طريق التقدم العلمي والتكنولوجي الذي وصل إليه وأنه حامل مشعل الحضارة .

ثـــــــالثا : صـــــورة الآخـــــــر في مخـــــيال الأنـــا :

كما رصدنا من قبل صورة الأنا في مخيال الآخر أيضا يرسم الشاعر صورة الآخر في مخيال الأنا:

1 -صـــــورة الآخـــــر/ الأمة:

يبدوا الشعور بالتناقض بين الأنا والآخر عند الشاعر الغماري بالاتساع أكثر فأكثر حيث لم يعد هذا الأخير ينحصر في شخص أو مجموعة فقط بل تعدى ذالك إلى مجتمع بأكمله :

وأشاحت بوجهها "أمة العار "

تزرع الشر في بلادي ويغريها

فلول ...محن حب الرومان

حنقت كالسعلاة (*).....يحفر فيها

ألف عار ....يعتريها امتهان

تسكب الحقد في نفوس بريئاتِ

...كم يرمي به الأفعوان

أتراها تمثال لؤم أثيم

نافخ فيه روح الشيطان ؟

من خلال هذا المقطع الشعري تتضح وسمة العار التي الصقتها الأنا بالأخر| الأمة والدلالة على ذالك لفظة (الشر) التي تعبر عن حجم الأذى الكبير الذي سببته للأنا ، كما تعبر عن مشاعر الكره والمقت الذي تسببه الأنا للآخر.

وتعكس أيضا الأنا من خلال أعماقها ، يقول الغماري:

أسفايا أمتي مدنعانا الأسف

آه...أروي غربتي من دمي ....أغترف

عجب ملء الفؤاد لو يفيد العجب

عم في الأرض الفساد لا تسل ما السبب ؟

عرب نحن صحيح أم وجوه من خشب

ومآ فينا قروح غائم فيها النسب

لست أدري ما هو أيسار أم يمين

والخطايا في خطانا ومرايانا ظنون

لست أدري أي درب سادر فيه الحنين؟

في زمان الحر والقـــ ر وأشلاء السنين (1)

إنّ هذه الأبيات تعبر عن الدراما الموجودة داخل النفس :

"فالإنسان والصراع وتناقضات الحيات هي العناصر الأساسية لكل قصيدة لها هذا الطابع الدرامي' فالإنسان في كل تجربة من تجاربه يخوض معركة مع نفسه أحيانا ' أي مع ذاته ' وأحيانا أخرى مع الآخر " (2) فالآخر هو المذنب في الحالة التي آلت إليها الأنا من ضياع وسأم واغتراب ذاتي وشعور حاد بالفشل (الفساد ' قروح ' خطايا 'رقص ' قصف)كلها ألفاظ تؤكد حالة الأنا التي آل إليها وعجزه التام عن التحرك أو إحداث أي تغيير وإصلاح الأنا والعلاقة بينها وبين الآخر.

2 -صورة الآخر / الغرب:

ويتجلى من خلال:

أ-صورة العرب / الحضارة:

تنظر الأنا إلى حضارة الغرب نضرة نقص لأنها حضارة دمرت الإنسان وجعلت منه رهينة الماديات بحجة التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي أبهر شعوب العالم:

أمقابر الإنسان ما شـــادوا

وأسمـــــوه حضـــارة؟

ومآتم الوجدان تلك أم التسيب والدعارة ؟

رممٌ ويُومٌ مرة الأصـــداء

أم قيـــم معـــاره؟!!

صرعن ضحايا العصر من كأس

بما صنعوا مُـــداره!!

يا سجيـــن الحـــرف...

تورق في ملامحه مداره ؟

الحرف يكفر بالألى سجنوه

واغتـــالـــوا نهـــــاره (1)

من خلال هذا النموذج يصف حضارة الغرب بأنها (مقبرة الإنسان) حيث افتتحه بأسلوب تعجب وذالك تعبيرا صريحا عن موفق الأنا من حضارة الآخر ' فكلمة (مقبرة) تحيل إلى الموت والهدم والفناء.

لقد قامت حضارة الآخر على التقدم العلمي وهذا ما هو إلا زخرفا ماديا فالحضارة لا تقوم فقط على الماديات وبهذا فهي تحمل عديدا من التناقضات منها تغييبها للقيم الإنسانية التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات وأعلنت التملص من كل القوانين والشرائع والتنصل حتى من أرسخ المعتقدات التي يؤمن بها العربي نفسه.

وعندما تتعرض الأنا لبعض مواطن النقص في حضارة العرب تسعى إلى نفيه وذالك من خلال نفي هذا القمع عنه لإثباته لنفسها' ولقد تميز الفكر الغربي مند العصور الوثنية بدحضه للديانات السماوات ' والأنا تؤكد على رفضها لحضارة الآخر عن طريق تمسكها بدينها الإسلامي الذي يفتقده الآخر وقام بمحاربته لفشله في صنع حضارة حقيقية وبهذا يتضح موقف الغماري من حضارة الآخر فهو يرفض أي تبعية للآخر ولكن هذا لا يعني عدم الانفتاح على الآخر .

ب-صورة الغرب / الاستعمار:

من أهم صور الغرب الاستعمار الذي طالما استخدمه الغرب كوسيلة لإثباته ذاته وذالك بالمعينة والتسلط وتدمير الشعوب التي تعبر عن الأنا ' ويتعدى الاستعمار المباشر إلى استعمار غير مباشر يصل إلى السياسة والاقتصاد وحتى الثقافة يحاول الشاعر توضيحه من خلال ثنائية الأنا والآخر .

هنا سرقت من كنوزي الليالي

وأبدلت قيد الأسس بالجواهر

وباسم الحضارة تهوي الدروب

جراحا...وتكسر منها الخناجر

على كل درب يُشرش غزو

قديم جَديدٌ ' خفي وظاهر

سجين النور...واعُمَرَاهُ

وباسمك يا نور تعلوا الحناجر

ولو حكم النور...كنت القتيل

أيا مسادرا في عفاف الجزائر (1)

استهل الشاعر هذا المقطع بمفردة (هنا) التي تشير إلى بلاد الجزائر ثم تحاول الأنا الكشف عن نفسها من خلال ياء المتكلم في (كنوزي) ، كما عبرت الأنا عن الآخر بكلمة (الليل) الذي يحمل معاني الظلم والطغيان والاستعباد:

"فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء الأخرى مغزى خطها " (2)، وتشير الأنا إلى الآخر وما تسبب فيه من سلب ثروات وخيرات البلدان المستعمرة وقتل الأبرياء وتشريد الأطفال وهتك أعراض النساء من خلال ألفاظ مثل (تهمي , تسكر , يشرش)، وبهذا فالشاعر قام بفضح نوايا ومؤامرات الغرب وبينت الأنا من خلال هذا النموذج وسيلة أخرى للاستعمار وهي ترويج مخترعات وتقاليد الغرب إلى الآخر الذي يقصد به الأنا "بدأت هذه المسلمة تتبلور في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهي استجابة تعود إلى بداية الامتثال للخطاب الاستعماري الذي رسخ فكرة بسيطة وواضحة وهي أن التحديث وكل ما يتصل به مع الحضور الغربي إلى الشرق " (2) ويعتبر النوع الأول الذي استعمله الغرب من الاستعمار قابل للردع عن طريق القوة أما النوع الثاني فهو أخطر من النوع الأول وأكثر تهديدا لأنه يتخذ طريقة ذكية وغير مباشرة ، حيث لا تتفطن الشعوب المستعمرة لذالك حتى تجد نفسها تابعة لها بطريقة حتمية ,وبالرغم من أن صورة الآخر التي رسمتها له الأنا تنهض في أفق المجادلة بين قطبين متناقضين إلا أن الأنا لا تعتبر هذا الأخر الاستعمار يشكل أزمنتها الذاتية ، فإذا كان الآخر قد أدمن القهر والطغيان فإن كل العتاب واللوم موجه إلى الأنا نفسها التي أضافت إلى الاستعمار معانات أخرى حيث قبلت بالذل والهوان وارت كست إلى الخصول والكسل فنسيت الماضي الزاخر بالأبطال والبطولات، وبقيت عاجزة عن التصدي لهذه الممارسات اللا إنسانية التي تشوه الإنسان وإرساء تعاليم أخرى له ، يقول أنور الجندي: "إن الغرب يعمل على محاصرة الإسلام والعلم الإسلامي بأكثر من قوى التغريب والغزو وممن يسيطرون على مراكز القوة في العالم وفي الإسلام **(1)**

الفصل الثاني : تجليات الأنا والآخر من خلال بعض الثنائيات

الفصل الثاني:تجليات الأنا والآخر من خلال بعض الثنائيات .

أولا :ثنائيات الذات /الموضوع.

تشكل الذات جزءا كبيرا من النص الشعري المعاصر وهي كذالك بالنسبة لشعر الغماري وما نحاول الإجابة عنه هو:

كيف تجلت هذه الذات في شعر الغماري ؟ هل هي ذات فردية أم جماعية ؟أم أنها تتأرجح بينهما؟

يقول الغمازي:

يلوكني ألمي..يا أمّ ...يدميني فأجعل

الحزن بعض من تلاحيني

أرنو....وأبحر في الأبعاد....ضامنة

سفائني ....وبحار الشوق تـقصيني

ويضيف :

ست وعشرون...حابتني مسافتُها

وليس لي غير همي ....يمضغ الألم

ست وعشرون يا أمّاه ما رفعت

إلا بإعصارها المجنُونُ مُضطرما [1]

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات الشعرية الأولى عن نفسه حيث يبرز ذالك من خلال الضمير المتكلم (الياء) حيث تبدو هذه الذات في حزن عميق والألفاظ الدالة على ذالك :(يلوكني ,ألمي ,يدميني ,الحزن ,شقائي ,تقصيني) هذه الذاتية من أهم السمات التي جعلت شعرا لغماري متميزا

حتى :"أنا أهم سمة تطبع شعر ألغماري هو توفره على الذاتية الحارة ,فذات الشاعر تطل علينا من جلال كل جملة شعرية ....ولعل حرصه على هذه الذاتية هي التي تدفعه إلى استعمال ضمير المتكلم في أغلب الأحيان". [2]

[1] مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة ' ص55.
[2] محمد ناصر : أسرار الغربة ' ص17.

والشاعر في هذه الأبيات يحاول أن يعبر عن كل مشاعره تختلج داخل أعماقه بكل صدق وحرية ,وقد أصبح:" الشاعر المحدث يولي هذه الحركة كل عنايته ,فقد وثق الشعراء المحدثون في الشعور الباطن من حيث هو ملتقى الأهواء المتنازعة ومن حيث نفاده وتغلغله في صميم الأشياء دون صورها الخارجية ومعانقته بذالك للحقائق الجوهرية" .[1]

و الألم العميق الذي يحس به الشاعر في أعماقه قد يتحول من المعنوي إلى المحسوس فلفظة (يدميني) تدل بوضوح أن الوجع داخلي يقابله وجع خارجي ,وينجح الشاعر في التعبير عن مشاعره كلنا نجح في اختيار لغة شعرية معبرة عنه :"ومن هنا فإن مكونات عناصر أداءه التعبيري تعتمد على نسق معقد في استخدام معجم شعري يتولى مهمة تجسيد الإحساس ,ودفع المتلقي كي يتوحد معه في همومه الذاتية ".[2]

وينتقل الشاعر من الحديث عن الأنا الذاتية إلى الأنا الجماعية وذلك من خلا ل قوله (وليس لي غير همي) فالشاعر تبنى هموم الآخرين ليعبر عنهم من خلال نفسه وما يشعر به (ست وعشرون ...جابتني مسافتها). والأبيات كلها تشير إلى نفسية الشاعر المتأزمة من ذالك قوله:(يمضغ الألم ,مضطرا)

وحتى نستكمل الإحاطة بثنائية الذات /الموضوع حريّ بنا أن نقف عند العلاقة التي تجمع بين طرفيها والتي يمكن أن نستلمها من خلال قوله :

إليك إليك أقرأ فيها ذاتي

وألمحُ في الضباب المرّ فجري

ويرسمني على شفتيك حزني

أجد فيه بلادي وعمري

أراه أراه ...تبحر في مداه

جياد ملاحمي وصهيل كبري

وتقرؤني الدروب هوى أصيلا

وتزرعني يداه نشيد فخر[3]

يبدوا الشاعر في هذه المقطوعة ذاتي ,ينطلق في التعبير من ذاته ووضوح فكري ,كما يقول أدو نيس :

[1] عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص257.
[2] رجاء عيد : لغة الشعر ، (قراءة في الشعر العربي الحديث) ، منشأة المعارف ، مصر ، 1985 ، ص389.
[3] مصطفى محمد الغماري : خضراء تشرق من طهران ، مطبعة البعث ، الجزائر ، 1980 ، ص28.

"من لا ذات له لا موضوع له, ومن لا ذات له لا تاريخ له"[1]

كما أن الشاعر يرى ذاته من خلال العقيدة الإسلامية, من خلال هذه الأخيرة ينظر إلى العالم الخارجي, حتى أضحى هذا العالم جزءًا من كيانها الداخلي.

وقد رافق هذا التحول فعل الاندماج الذي يفيض عن لحظة الاستقرار في التأمل الذاتي,حيث تتوحد الذات في العالم الخارجي فلم يعد كيانًا موضوعيا خارج أبنيتنا,وقد سقطت كل الحواجز وتهاوت كل الجدران الحائلة بينهما .

إن هذا التوحد بين الشاعر والعقيدة الإسلامية مثل التوحد في العلاقة بين الذات والإبداع الشعري,كما أثبت أنّ:"مسألة الإبداع الشعري ليست جوهريا,مسألة ذاتية أو موضوعية,إنما مسألة رؤية وكشف ,إذ ليس في الإبداع الشعري انفصال بين الذات والموضوع,على غرار ما نراه في الفلسفة والعلم,وإنما هناك مسالة بدئية بينهما,نابعة من الوحدة,بدائيا في الشعر,بين الكلمة والشيء,اللغة والعالم"[2] هذه المسألة ليست مقيدة بقواعد وقوانين معينة,وإنما هي مسألة رؤيا ونظم.

وهذا ما يؤكد أن التجربة الشعرية التي وصلها الشاعر وما كان لها أن تتحقق إلا بعد أن مرّت بمرحلة:"استبطان الذات التي تتم فيها العودة إلى العالم الداخلي فتقترن الجات بالموضوع الخارجي إلى أن تأتي مرحلة أخرى فيكون إيصال الخارج إلى الداخل واتحادهما بالتوحد التام بين الموضوع والذات[3]

ومن هنا فالتجربة الشعرية الحقيقية لا تتحقق إلا إذا مرت بالتجربتين السابقتين.

وهكذا فالشاعر لجأ إلى بعض التعابير الصوفية ليعبر عن فكرة الوجه والمحبة والشوق للعقيدة الإسلامية, ولعل هذه التعابير الصوفية هي العلاقة التي ربطت العالم الداخلي للشاعر (الذات) والعالم الخارجي (الموضوع).

2- الحياة /الموت:

إن لثنائية الحيات/الموت حضور بارز في شعر الغماري فالآخر الذي يمثل الموت دائماّ إلى إقصاء الأنا وإنهاء وجودها في مقابل الأنا الذي يمثل ويسعى إلى إثبات وجوده ومن هنا نشأت علاقة جديدة بينهما.

---

[1] علي أحمد سعيد (أدونيس) : زمن الشعر ، دار الفكر ، لبنان ، ط5 ، 1986 ، ص288 .
[2] علي احمد سعيد (أدونيس) : زمن الشعر ، ص288.
[3] عبد الحميد هيمة : الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ، دار الفطكر ، بيروت ، 1920 ، ص110.

فلقد راح الشاعر يتأمل فلسفة الحيات والموت من خلال مستويين مختلفين :ففي المستوى الأول استطاع المزج بين الذات والموضوع المطروح بينهما في المستوى الآخر وقف على الطرف المقابل له محاولا تفسير وحل الإشكالية الخاصة به: يسعى

ربّ ....لولا هذا المحيط أمامي

ليس يثْني في ساحة لي حنان

أنشُد الموت في رضاك ...فما

أروع ...موت الجهاد ...يا رحمان...

في الفناء البقاء...رباه...في الموت

...وصال...ما شابها حرمان

كل شيء أرضاه منك بلاء

غير موتي كما يموت الجبان

كل خطب ...يهون ...إلا حصاما

يسخر السيف منه والمِرانُ

إن جسما يقتاته النّسر أسمى

من جسوم تمتصها الديدان[1]

إن الموت يعتبر تهديدا للذات الإنسانية باعتبارها تقتضي على وجودها تماما ,وهو هاجس لكل إنسان وهو شيء طبيعي باعتبار الإنسان محبا للحيات وهكذا فإنه : "ليس تلك النقطة التي تنتهي بها الحياة الذات ,فحسب,بل إنه ذالك الحاضر الغائب في وجدانها إلا أن تبلغ الحيات تلك النقطة " [2]

لكن قد يتحول الموت إلى مطلب عزيزا ترجوه الذات حين يكون هذا الموت من أجل مطلب إنساني وهو الجهاد في سبيل حيات العزة والكرامة وهذا نابع عن إيمان عميق ونلمح ذالك من خلال قول الغماري (ربّ) ,وهذا يمثل تحدي للآخر \الموت من خلال صرخة الاندفاع التي المدوية التي أطلقها في ساحة القتال (ليس يثني في ساحة لي عنان),لكن هذا الموت الذي يطلبه الشاعر مجرد تمني لأن هناك حواجز تقف أمامه وذالك من خلال

[1] مصطفى محمد الغماري : نقش على ذاكرة الزمن ' ص33,

[2] إبراهيم أحمد ملحم : جماليات الأنا في الخطاب الشعري (دراسة في شعر بشار بن برد) ' دار الكندي ' الأردن ' 2004 ' ص66.

قوله : (لولا هذا المحيط أمامي)فلولا هناك عبرة عن امتناع الحدوث ,وإيمان الشاعر القوي بربه جعله يتقبل كل شيء ,إلا أنه يرجو من ربه ألا يموت ميتة الجبان وذالك من خلال قوله : (كل شيء أرضاه منك بلاء غير موت كما يموت الجبان).

وهكذا أصبح الموت حاجة ملحة تعمق الشعور بها نتيجة ازدياد إحساسها الحاد يحاضرها, ووعيها التام بأنه لا مجال للتصالح مع الواقع دون العبور على طريق الموت :"أنا الفنان إذ يكتشف صفاءه , يكتشف عكر العالم ,وتصطدم صلابة صفاءه بصلابة العالم ..وهذا الاصطدام يولد الشرارة المضيئة للعالم ....إن الفن ينبع دائما من هذا الصدام, من الرغبة في أن لا يفقد الإنسان صفاءه....ويصبح هذا الهم الذاتي جدار لهموم الناس جميعا ".[1]

فالفنان يكتشف العالم من جلال مكنوناته ودواخل نفسه وهذا يولد صداما يعد مصدر الإبداع الشعري .

من وجهة نظر الغماري هذا هو الدور الحقيقي الذي يلعبه الفنان الذي: "لا يرضى بالمعنى الذي تضيفه العادة ,ويصبح دوره هو أن يوقضنا ويخلصنا من الأفكار المشتركة الضيقة فهو متفرد ومتميز في الخلق وفي مجال إنه ماطاته الخاصة ,كشاعر , وشعره مركز استقطاب لمشكلات كيانه يعانيها في حضاراته وأمته وفي نفسه هو بالذات ".[2] فدور الفنان هو تخليص الناس من الأفكار المغلوطة المشتركة الضيقة , وبهذا يكون متفردا كشاعر ,وشعره يكون حلا لمشكلات كيانية يعانيها في أمته وفي نفسه هو.

فالأنا هنا تقدم منسقا مغايرا من الرؤى حول واقعها الخارجي , فعندما تتعرض لهذا الموقف يزداد إيمانها بأن الموت هو السبيل لتحقيق ميلاد جديد للعالم ,وثم فاختيار الأنا بموت ليس رفضا لواقعها وهروبا منه وإنما يسعى إلى تغييره بتفويض الأنا الفردية .

وهكذا تظهر الأنا صورة أخرى لعلاقتها بالآخر/ الموت في تركيبة يتجاذبها طرفان هما الحيات والموت,قد يلتقيان عند نقطة محدودة يتحول فيها الموت إلى بعث والسكون إلى تجدد واستمرار لكنهما يفترقان في آخر ويبقى الصراع بينهما متواصلا لكن إرادة الأنا في البقاء تنتصر في الأخير :

أيمـوت هذا الورديـا أنفاســـه

ويغيب خلف تلالــه العـــذراء

أتموت أشواق الهوى...يا غربـــة

[1] إحسان عباس : الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998 ، ص158 .

[2] علي أحمد سعيد (أدونيس) : زمن الشعر ، ص9- 10.

تغرى بصلب أزاهري البيضـــــاء

أنا للوجود...فلن تموت مروءتي

ستظل....تورقا في خضيل دمــائي

ســتظل مثلك يا جمـــوع ســخية

ولمقلتيك عبيرهـــا وغنائـــــــي... [1]

تبذو الأنا في هذه الأبيات متفائلة وطافحة بالحيات ومثال ذالك (الورد، أشواق ،أزاهري)وهذا التفاؤل نابع من يقين نطلق على استحالة تفوق الآخر عليها ، ويظهر ذالك من خلال قوله : (أنا للوجود... لفن تموت مروءتي)وسيبقى هذا التفوق في استمرارية وقد عبر عن هذه الاستمرارية من خلال الفعل (ستظل) , بعدما كان في البداية مترددا في تحديه للآخر وتغلبه عليه وذالك بأسلوب استفهامي تعجبي (أيموت) ومن هنا فقد أثبتت الأنا وجودها الفعلي ورفضها للاستجابة للأخر المؤدي بها للتلاشي ,إن هذه اللحظة لهي : "برهة الخلق والابتكار , وأنة الفرح السموي , إنها لحظة الإنخطاف والرعشة التي تزوده بالنبض والحرارة والقدرة على إفناء الموت وتوليد رؤى البعث التي تعلوا بنا فوق أسوارنا المُسيّجة بالدّجى إلى عالم الحلم المشرئبّ ". [2] حيث يغيب الزمان والمكان , ويكون التطلع إلى الأفق اللآ متناهي (ستظل , تورق , عبير ,غناء , خضيل , سخية) كلها ألفاظ تشع بلمعان يؤكدها السياق ,فمواجهة طغيان الموت لا يكون إلا بالتمسك بالحيات والأمل في الغد .

إنّ هذا التحدي الذي اتسمت به الأنا في مواجهة الآخر ما كان إلا سعيا لنيل مرضات الله (أنشد الموت في رضاك) .

كما وضف الشاعر لفظتا (الفناء والبقاء) اللذين يشيران إلى النزعة الصوفية لما فيهما من دلالة الحياة والموت فهو يرى أن الحيات موت نتيجة بعد النفس عن الله وذالك في قوله :

كانت حياتك ميتة عن ميتة إن كان عرفك منكرا عن منكر [3]

أما الموت فقد اعتبره الخلاص الحقيقي الكفيل بضمان الخلود الأبدي , وهو بمثابة : "اختفاء نبوءة البعث الكامنة في هاجس الموت , الموت الذي يقضي على كل الزوائد ويهدم كل ما هو

[1] مصطفى محمد الغماري : قصائد مجاهدة ، دار هومة ، الجزائر ، ط1 ، 2001 ،ص156 .
[2] عبد القادر فيدوح : الرؤيا والـتأ ويل ، (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة) دار الوصال ، الجزائر ،ط1 ، 1994 ، ص26.
[3] مصطفى محمد الغماري : قصائد منتفضة (أسرار من كتاب النار) دار هومة ، الجزائر ،ط1 ، 2001 ،ص26.

مترهل ومتهرئ , وينفخ فيه روح الحياة من جديد , ولذالك ألفينا معظم الشعراء يحملون في نبضاتهم نبوءات الآتي ورؤيا البعث " [1]

لقد اعتبرت الأنا لموضوع الموت حبل وصال يجمعها بخالقها أين يكون الحرمان يكون العطاء اللا متناهي فترتقي بذالك إلى الروحانيات , وبالتالي فقد فضلت حياة أخرى غير الحياة التي تعيشها بخلاف من يتشتت بها ويرفض التخلي عنها وهنا يقول الغماري :

قيل الحياة فقلت تلك آلهة معبودة من الزمان الأغبر. [2]

وهكذا فالأنا فضلت حياة أخرى غير تلك الحياة المادية , فقد انتقلت إلى تلك الحياة الأبدية الخالدة ,فإذا كان التحدي الذي لمسناه آ قادها إلى الإتحاد مع الآخر \ الموت , فإنه سيؤدي هذه المرة إلى الرفض المطلق له وهو ما سيزيدها تعطشا للحياة يقول :

يا طير ...ما أغلــى الحياة

...لمن يعي معنى الحياة

ولمن يذوب صلاة عشـــــ

ق حين توغـل ملتقـــاه... [3]

ثالثا: الزمـان / المـــكان :

أ-الأنـــا ومعلم الزمـــــان :

للزمن دوره الأساسي في إبراز ثنائية الأنا والآخر, ويأتي وعي الأنا به ضمن نطاق التجربة الحياتية التي تسير بها وفق هذا المعلم وقد أفضى هذا الإدراك إلى تشكيل قناعة لديها بعلاقته الأساسية في تحديد ملامح صورتها .

يقول الغماري :

تعفن فكر الزمـــان تعفن فكر المكان

ملء يدينا استلاب وملء الشّفَاه الدخان

وأبنا شخوصا حيارى تطردنا القهقهـــات

نُشيع ما هو ماض ونرقب مـــا هو آت

[1] عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل ' ص28.
[2] مصطفى محمد الغماري : قصائد منتفضة ' ص26.
[3] مصطفى محمد الغماري : أغنيات الورد والنار ' ص148 .

وثرنا بلا موعد وأبنا ...بلا مغنـــم

رجعنا ولا شيء ! رماد من

لا حطمنا كؤوس الضيا وقلنا شراب قديم

وعدنا....وأهدبنا يعربد فيها الجحيم

نشد الرحال ولكن لطين الخطايا نشُدّ

نسافر هما غريبا فيمتد سدّ وسدّ

نعد الثواني وننسى بأن القضاء يُعدّ

ونكبر حلما...كأنا لنا فيك يا أرضُ خُلد [1]

ويبدوا أن للأنا موقف من الزمان بأبعاده الثلاثة ماض , وحاضر, ومستقبل إلآ أنّ الصراع طبع علاقتهما معه في العموم , حيث تبدوا الأنا تسير وفق خط سلبي , وذالك لعدم تمكنها من تطويع معلمي الزمان والمكان وقد عبر عن ذالك باللفظ (تعفن) الذي يحمل في طياته الجدل بين الأنا والآخر الذي يمثل الزمن بالإضافة إليه هناك ألفاظ أخرى (استلاب , دخان ,حيارى ...) التي تجسد الواقع المأساوي للأنا فقد أضحت الأنا كائبا مستلبا يعاني الحيرة والضياع والآلم والأحزان .

إن الزمان : "ظاهرة تنصب على كل شيء في هذه الحياة , فأين يمكن أن يكون الزمان , فالصبي زمان / أي أنه يعني ارتباطه العضوي بالزمان ابتداءا من لحظة النصر التي يولد فيها , بل إبتداءا من لحظة الصفر التي يكون فيها نطفة في ظلعات الرحم ....فالزمان الذي نريده هو ذالك المتجسد في الكائنات والأشياء الدال عليها المحدد لعمرها , الواصف لأحوالها , المتسلط عليها في أي صورة عن صور التسلط الزماني القابل-بشكل يكاد يكون عدوانيا - للتسرب والتو لج " [2] فلا يمكن فصل الزمان عن كل شيء في هذا العالم , ونجد هذا في البيت الرابع (نشيع ما هو ماض ونرقب ما هو آن) والأنا هنا تقف عند زمنين: ماض تتحسر عليه نتيجة تخليها عنه , وهنا يقوم الفعل نشيع بوضعه للمجال الدلالي للموت والفقد النهائي وهذا الماضي هو سبب معانات الأنا و"ربما كان أقصى ألم يعانيه الإنسان هو ذالك الألم المنبعث من استحالة عودة الماضي وعجز الإنسان في الوقت نفسه عن إيقاف سير

[1] مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف ، ص28.

[2] إبراهيم أحمد ملحم : جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، (دار هومة في شعر بشار بن برد) ، دار الكندي ، الأردن ، 2004 ،ص78.

الزمن " [1], وأما المستقبل فلن تستطيع أن تقف أمامه إلا موقف المنتظر المرتقب العاجز عن الفعل ,وصنع الغد حتى ولو كان عن طريق التمهيد له بالفعل الممكن .

وإذا كانا هذان الزمنان قد تجليا بوضوح , فإن الحاضر ميزة الخفاء فلم يذكر بلفظه بالرغم من أنه هو البعد الزمني التي لانطلقت منه عما سواء عليه الاستخدام المكشف للأفعال المضارعة التي تعمل على توجيه حركة النص الزمنية وفق الحاضر , وتعود الأنا من خلال فكرة قد عرضتها من قبل وهي الانقطاع الذي حدث بينها وبين الماضي , ولعلى السبب يرجع لإلحاحها الشديد على أهميته في بناء الحاضر والمستقبل لأنه حاصل لجذورها الأصلية وذاكرتها المفتوحة ولعلى هذا ما يبرز توظيفها لهذه الأفعال الماضية (نسافر , نشد,نكبر...), وكأن الأنا تحاول أن تغير من مسارها لكنها تصطدم بقوة الزمن التي غيرت هذا الدرب نحو الاتجاه المعاكس وذالك من خلال (لكن) الاستدراكية وقد اعترفت الأنا بتفوقه عليها وتبرئه من كل ما وقع لها في الحاضر, والزمن مرتبط بفكرة أخرى وهي الموت الذي يتربص بها حين ينزلق بها الزمن نحوه , ولأن الأنا تكتب وفق رؤية إسلامية واضحة فإنها تعتقد بالموت بل وتلقي اللوم على نفسها حين تأمل في الخلود .

وإذا كانت علاقة الأنا بالزمن كآخر قد حددت لنا ملامحها ككيان ضعيف خاضع لسيطرته فبإمكانها أن تقدم لنا صورة المخالفة :

عواطف نحن لا الأيام تقهرنا

وليس عن خصلة الآمال تُثنينا

أظافر الليل إن طالت تقلصها

ونصلب اليأس ليس اليأس يُدمينا

وإن تسكع في أيامنا رهق

سنزرع الدهر يرموكا وحطينا [2]

تبدو الأنا في هذا المقطع الشعري في صورة متحدّي للآخر / الزمن وذالك من خلال استعماله لأدوات النفي (لا , ليس) , مثلا قوله: (عواطف نحن لا الأيام تقهرنا),(نصلب اليأس ليس اليأس يدمينا), وهكذا فالأنا حطمت اليأس وتغلبت عليه وهذا نتيجة وعيها بعنصر الزمن وما يقتضيه من صلابة لمواجهته.

ب-الأنا ومعلم المكان :

[1] عبد المالك مرتاض : النص الادبي من أين ؟ وإلى أين ؟ ديوان المطبوعات الجامعية ‘الجزائر ‘ 1983 ‘ ص83- 84.
[2] حسن عبد الجليل يوسف : الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي ‘ النهضة المصرية ‘ القاهرة ‘ ص08.

يشكل المكان قطبا مهما في اشتغال ثنائية الأنا والأخر ذالك يتحول من مكان جغرافي إلى حيز معبأ بمختلف الانفعالات والتجارب الإنسانية.

يقول الغماري :

يا تلمسان...ظامئ فيك حبي

وأســـير في روحي التّحنـــان

أي شوق يَلوبُ في كبدي الخرساء

حتـــى تضـــيق بي الأوطان

في الحنايا تلج زَفرتي السوداء

...ضاق الزمان...ضاق المكان

وبحار الشوق القديم إلى حبّك

لا ينتهي لها طوفان[1]

إنّ حركية مصطفى الغماري ضمن البعد المكاني تعبر عما يعتريه من هموم ومآسي وأحزان طالما راودته ,ومعلم المكان لا يقل أهمية من معلم الزمان "فلا شيء إلا وله ارتباط بالحيز والزمان معا".[2]

فالحيز المكاني الذي أشار له الشاعر هو مدينة (تلمسان) حيث خاطبها الشاعر وكأنه إنسان من خلال حرف النداء (يا) مشغلا تقنية التشخيص التي تتمثل في: "خلع الحياة على المواد الجامدة , والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية " [3] , وقد لجأ الشاعر إلى تقنية التشخيص لحاجة الإنسان إلى رباط يربطه بالطبيعة .

ولم تقف الأنا عند حدود العالم الخارجي للمكان ،بل حاولت تقديمه ضمن سياق نفسي حيث عبر عن مشاعر متنوعة تعبر عن حب فائق لهذا المكان (ظامىء فيك حبي), ويتعمق ارتباطه بالطبيعة .

ولم تقف الأنا عند حدود الوصف الخارجي للمكان, بل حاولت تقديمه ضمن سياق نفسي حيث عبر عن مشاعر متنوعة تعبر عن حب فائق لهذا المكان (ظامىء فيك حبي), ويتعمق ارتباطه بالمكان (تلمسان) حين يحضر فعل الحنين حيث ينبئ هذا الشعور عن حالة انفصال

[1] مصطفى محمد الغماري : نقش على ذاكرة الزمن ، ص23.
[2] عبد المالك مرتاض : النص الأدبي من أبي ؟ وإلى أين ؟ ص102 .
[3] سيد قطب : التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، مصر ،ط7 ، 1982 ، ص63.

وقعت بينها وذالك في قوله :(ضاق الزمان , ضاق المكان ,وبحار الشوق القديم إلى حبك) ,وإذا كان الوطن يمثل القطب المكاني الذي يعيش دائما داخل الشاعر ويستمر في التواصل معه , فإذا علاقته به قد تتحول أحيانا إلى صلة انقطاع أمام فقدان المكان المركزي الأكثر حميمية وألفة وبذالك فإن الأنا تجسد صورة المكان كآخر من خلال هذا الانقطاع عن الوطن , فقد يشعر الفنان أحيانا بالاغتراب الروحي حتى وهو في وطنه وبين قومه وأهله فالمكان ليس هو المقصود بذاته بل يأخذ قيمته المعنوية من الناس وجملة الأفكار السائدة بينهم وقد أضفت لفظة (السوداء) طابع العتامة والسواد بصفة عامة وعكست نفسية الأنا المتأزمة , حيث أصبح الوطن مكانا يتسم بالعطالة والسلبية .

ويتضافر طرفا ثنائية الزمان والمكان ليعبر عن الإحساس بالافتقاد والتشتت اللذين أصابا الأنا داخل هذا الإطار , وذالك في قوله: (ضاق الزمان , ضاق المكان) وهكذا يصبح المكان ذو دلالة مغلقة ويعاود مكان الألفة (تلمسان) بالظهور مرة أخرى بعد هذا العرض لمكان الانقطاع (الأوطان) وقد صاحب ذالك أيضا التعبير عن شدة الشوق والحنين اللآ متناهي له وذالك سنكتشفه من خلال قولها (وبحار الشوق القديم إلى حبك / لا ينتهي لها طوفان) .

رابعا : ثنائية الحضور والغياب :

يعتبر الغماري أنّ ثنائية الحضور والغياب تحمل في ثناياها طرفين متقابلين , فحضور الأول يعني غياب الآخر , وفي غياب الأول يبرز الآخر, وهذا ما ساعد على ظهور العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر, يقول:

وهبت الهوى دقات قلبي وخاطري

وملء يدي رغم الضباب شهابُ

ومن خصل الأضواء صغتُ قصائدي

وعاتبت قومي إذ حضـــرتُ وغـــابوا

ووليتُ أستبـــقِي صبا بات فرحتـــي

إليـــك, وكـم يحْـــلو لديك عتـــاب

وقلت لعل الفجـــر ينساب أنهـــر !

تُضيء ...فأجْني الضوء و هو كعاب[1]

[1] مصطفى محمد الغماري : خضراء تشرق من طهران ' ص09.

تسجل لنا هذه المقطوعة الشعرية الحضور الواضح والبسيط للأنا وذالك على المستوى النحوي ,فيما يغيب الآخر عنه, لذالك فإن "الغياب هو تاريخ اللغة والحضور هو الكلام الذي يرتبط بالإبداع الفردي [1], فالغماري يستهل هذا المقطع بتوظيفه لجملة من ضمائر المتكلم مثل : (وهبت) , بالإضافة إلى ما نجده من ألفاظ تعبر عن ذاتية الأنا مثل: (قلبي) , فنجد الأنا في مستهل المقطوعة تصف هذا الهوى العارم والحب العميق اللذين ملكا عليها نفسها وخاطرها حتى دفعا بها إلى التعبير عنهما .

تبدوا ألفاظ هذه المقطوعة موجهة لامرأة بعينها , لكن ثمة أشياء على المستوى العميق لم تذكرها الأنا ولكنها توحي بها من خلال عدة ألفاظ مثل :(شهاب الأضواء , الفجر ,تضيء, الضوء), وهذا الضوء كان مصدر إلهام للشاعر وغاية أمنياته إن هو إلا النور الإلهي الذي وقر في النفوس لقوله تعالى :››الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح في زجاجة , الزجاجة كأنها كوكب ورّي يوقَرُ في شجرة مباركة زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية يكاد زينها يضيء ولو لم تمسسه نارُ نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يهتدون ‹‹[2]

وقد عبر الشاعر عن ذالك بالخيال الذي :"يستحضر الغائب والغريب , ويفجّر المكبوت في التجربة واللغة ليخرجه على نسق إيحائي ,حافل بالتّودّد والتلبس ...تلتقي به المادة بالرّوح ويكون مسرحا للقراءة , للذهول , للبحث ".[3]

إنّ ثنائية الحضور والغياب عند الغماري يقوم على عملية إفراغ الكلمات من مدلولاتها المألوفة وتحميلها دلالات أخرى مثلا : لفظي (الأضواء) و(الهضاب) بما يمثلانه من دلالة الحضور , فلفظة الأضواء توحي بالحق واليقين ,أما كلمة الضباب فإنها ترمز إلى انعدام وضوح الرؤية ,العتمة , الظلم... وبذالك فهي تقف على طرف النقيض من اللفظ الأول لتشير إلى آخر.

نجد في السطر الشعري الرابع إفصاح الأنا عن ظهورها في مقابل غياب الآخر(عاتبت قومي إذّ حضرتُ وغابوا) فالأنا تتجلى من خلال تاء المتكلم , أما الآخر يتجلى من خلال صيغة الجمع الغائب (الواو) , فالأنا والآخر في ثنائية الحضور والغياب يسيران إذن وفق خطين متعاكسين لا يلتقيان .

أرفق الشاعر كلمة (غابوا) بعلامة تعجب , غير أنه يتوقع هذا الغياب من الآخر حين أطلق عليه اسم (الضباب) وقد فعل هذا لأن الذي يهزه ليس هو غياب الآخر بقدر ما يؤلمه الأذى الذي تتعرض له العقيدة الإسلامية ذاتها من طرفه الواحدة تلوى الأخرى .

---

[1] كمال أبو ذيب : في الشعرية ' مؤسسة الأبحاث العربية ' لبنان ' ط1 ' 1987 ' ص107 .

[2] سورة النور : الآية 35 .

[3] إبراهيم رمّاني : الغموض في الشعر العربي الحديث ' ديوان المطبوعات الجامعية ' الجزائر ' 1991 ' ص249 .

يمكن أن نعتبر أن الشاعر استغل ثنائية الحضور والغياب كسمة أسلوبية استطاع من خلالها أن يمنح للقارئ فسحة للتأمل وفهم التغير ودلالاته مما قد "يزيل البعد بين القارئ العربي والشاعر العربي الجديد, ويتيح لهما الإتحاد من جديد في لقاء خلاّق.[1]

تشير النقاط المتوالية بعد (تضيء) إلى استحالة الوصف حين يتنفّس الفجر فيرسل ضياءه فيعم أرجاء الكون ويبدو الظلام ,ولعل هذا المقطع الشعري يوضح أكثر, يقول:

مـــن يرُدّ الستار...؟

يـــا زمان التـــــحدي

لجـــُرحِ الإمـــــامِ...

ومـــن يســـــتجيبُ

لِخُطـــــــالا تغيـــــبُ

لِخُطـــــــالا تغيـــــبُ

لِخُطـــــــالا تغيـــــبُ ...[2]

إنّ الغماري بلا شك قد نجح في استغلال الإمكانات الطباعية ,كأنه يريد أن يقول أشياء كثيرة لكن العبارة خانته , فمثلا لفظة (التتار) التي أعطاها للآخر هي ترمز إلى معاني غائبة كالعنف والهمجية ...الخ, فلو قدم لنا الغماري هذه المقطوعة دون علامات الترقيم فإن النص يفقد جوهره, التي تعطيه إياها جملة الغيابات ذالك أنّ الغائب يؤدي دوره بغيابه أكثر من حضوره ' "وهكذا لم تعد القصيدة الحديثة تقدم القارئ أفكار ومعاني ' شأن القصيدة القديمة ' وإنما أصبحت تقدم له حالة 'أو فضاء من الأخيلة والصور من الانفعالات وتداعياتها ...إلى هذا كله ' ينطلق الشاعر العربي الحديث من نظرة إلى الشعر تغاير النظرة القديمة ' ويمارس طرقا كتابية تغاير جذريا الطرق القديمة ".[3]

إنّ الشاعر العربي الحديث ينحوا منحى مغايرا للشعر العربي القديم ولو وقعنا عند البنية المكانية للمقطع الشعري باعتبار أن " الكتابة ليست تنظيما للأدلة على أسطر أفقية ومتوازية فقط 'بل إنها قبل كل شيء توزيع لبياض وسواد على مسند وهي في عموم الحالات الورقة البيضاء ".[4]

---

[1] أدونيس : زمن الشعر ' ص166.

[2] مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس والذاكرة ' المؤسسة الوطنية للكتاب ' الجزائر ' 1986 ' ص80- 81 .

[3] علي أحمد سعيد (أدونيس) : زمن الشعر' ص278 .

[4] محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وبدالاتها ' دار توبمال ' المعرب ' ط1 '1987 ' ص111 .

فإننا نجدها تختلف عن القصيدة القديمة التي كان للبعد المكاني فيها ارتباط وطيد بالبعد الزماني حيث تتمثل قاعدة الأوزان قواعد الألحان ، والأشعار معايير الأوتار".[1]

إذن فالقصيدة الحديثة قد حطمت النموذج المكاني القديم كما رفضت كل فضاء مغلق ، وهو ما يعكسه هذا النص يخفي وراءه دلالات غائبة كما بعكس وجها آخر "الصراع الداخلي وقلق عميق تعانيه الذات الحديثة المضطربة في حيز مفتوح على المتاهة الغامضة ،وإنما هو لعبة المتغيرات الهندسية والدلالية ، التي يواجهها القارئ من خلال بنية السواد ،ويحتل المساحة الكبرى ، ويبقى للسواد غير أسطر قصيرة تختزل تفاصيلها في دلالات مركبة كثيفة "[2]،فنلحظ مثلا (ومن يستجيب) تعبر عن بعد منال الشاعر وبداية فقدانه الأمل في تلبية ندائه.

يبدوا أن هذا التوزيع مرتبط بالتجربة النفسية للشاعر لأن تفجير المكان من الداخل "حيز نفسي قبل أن يكون حيّز في صفحة النص" [3]

وهكذا فإن الآخر لم يستجب ، لكن الأنا لم تيأس فتعيد النداء (من يستجيب).

نجد الشاعر يكرر جملة (خطا لا تغيب)، التي تحمل إشارات إلى الإسلام ، وبهذا تأخذ القصيدة نظاما هندسيا معينًا ساهم في بناءها.

إذا كان للتكرار مبرّرات فنية فإن له دوافع نفسية تجمع الشاعر والمتلقي على مستوى الغياب ،فمن ناحية الشاعر"يعني التكرار والإلحاح في العبارة على معنى شعوري يبرز من بين عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره ، وربما يرجع ذالك إلى تميزه عن سائر العناصر بالفاعلية ومن تم يأتي التكرار لتميزه بالأداء "[4] ،كما أن عبارة (لخطا لا تغيب) جعلها الشاعر بؤرة خطابه ، وحتى تزيد الأنا من إيحاءات القصيدة فإنها لجأت إلى تغيير شكلها الكتابي (لخطا لا تغيب) فتفتح المجال لاحتمالات أخرى دالك أن "تصوير الألفاظ وحده لا يؤدي الأشياء كاملة وعليه فالفراغ الأبيض متمم "[5]

فهده الخطا التي تثبت حضورها الدائم في واقع الشاعر لا يمكن أن تكون سوى العقيدة الإسلامية

مما سبق نستطيع القول أن :

اتضحت العلاقة الجدلية بين الأنا والأخر من خلال ثنائية الحضور والغياب ،كما ساهم الزمن في إبراز ثنائية الأنا والأخر ،فقد أخذت الأنا صورتها من علاقتها مع المكان الذي

[1] ابن رشيق : العمدة ، ت ح ، محمد محي الذين ، ج1 ،مطبعة السعادة ، مصر ، 1955 ،ص 09.
[2] إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، ص300.
[3] فتيحة كحلوش : بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ،الانتشار العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ،1987 ، ص101.
[4] مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية ، ص172 .
[5] محمد بنيس : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص98 .

تحول إلى رمز يعيش في فكر وعاطفة الأنا ،أما علاقة الذات بالموضوع فهي علاقة توحد وانصهار ،فذاتيته أهم سمته تطبع شعر الغماري الذي نجده دوما ينطلق في التعبير عن ذاته ،إلا انه تجاوز ذاته وأصبح ملتحما بالجموع .

خـــــاتمة

نستنتج مما سبق ذكره أن تجربة مصطفى محمد الغماري الشعرية لا تخرج عن الطبيعة الإنسانية ،والتي تفترض وجود الأنا والآخر،فالآخر يشكل عنصرا مهما في وجود الأنا .

ـ تعكس التجربة الشعرية الغمارية قدرا كبيرا من سعي الأنا الحثيث نحو معرفة ذاتها ،لإثبات هويتها وذلك عن طريق تمسكها بقيمتها الأصلية ولكنها عجزت عن تحقيق ذلك في الواقع الخارجي فأذى ذلك إلى الرفض والتمرد والثورة مع الآخر .

ـ تحاول الأنا معرفة الآخر وذلك عن طريق معرفة ذاتها ، كما أن معرفة الأنا تكون عن طريق معرفة الآخر كذلك، ولهذا فقد احتل الآخر مكانا بارزا في شعر الغماري .

ـ انطلق الآخر في تشكيل صورة الأنا من رؤى مشوهة وحقائق مقلوبة بغرض سيطرته وانتصاره عليها ولكن الأنا حاولت التصدي له من خلال إثبات تفوقها الكبير وهذا يعتمد أساسا على العقيدة الإسلامية .

ـ صورة الأنا التي يصورها النص هي ذات جماعية تتجاوز هواجس الأنا الفردية إلى هموم النحن ،وهي جماعة وإن أتت بصيغة الفرد .

ـ لم تركز النصوص الشعرية الغمارية على تشكيلها لصورة الأنا والآخر من الناحية الفنية بقدر ما أبرزت قضايا فكرية معاصرة وطرحت إشكاليات فلسفية ونفسية مرتبطة بالأنا .

ـ صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري صورة مركبة ومتطورة وليست صورة بسيطة ساكنة ، ذلك أن الآخر كيان مختلف يصدر عن الغير فقد يكون شخصا أو جماعة أو حتى فكرة وكما أن الآخر متعدد فإن صورة الأنا تنمو وفق تطور صورته فالشخص يتغير دائما لأنه يتطور تبعا لتطور الحياة .

كانت هذه بعض النتائج التي أمكن الوصول إليها من شعر الغماري الذي لا يزال مجالا رحبا لكثير من الدراسات .

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1- مصطفى محمد الغماري :أسرار الغربة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 1982

1- أغنية الورد والنار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980

3- الهجرتان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

4- بوح في موسم الأسرار ، مطبعة لافوميك ، الجزائر ، 1985 .

- حديث الشمس والذاكرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986. 5

6- خضراء تشرق من طهران ، مطبعة البعث ، الجزائر 1980.

7- قصائد منتقضة (أسرار من كتاب النار) ، دار هومة ، الجزائر ، ط 1 ، 2001 .

2- المراجع :

1- إبراهيم أحمد ملحم :جماليات الأنا في الخطاب الشعري (دراسة في شعر بشار بن برد)، دار الكندي ، الأردن ، 2004 .

2- إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1991 .

3- ابن رشيق : العمرة ، ت ح ، محي الدين ، ج 1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1955 .

4- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، تركيا ، (د ت) .

5- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006 .

6- إحسان عباس : الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998 .

7- أحمد ياسين سليماني : التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2009 .

8- أنور الجندي : الإسلام والغرب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1982 .

9- بطرس البستاني : معجم المحيط ، مكتبة لبنان ، 1987 .

10- جاك لاكان : اللغة ، الخيالي والرمزي ، إشراف مصطفى المسناوي ، سلسلة بين الحكمة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2006 .

11- حسن عبد الجليل يوسف : الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي ، النهضة المصرية ، القاهرة ،(د ت).

12- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، مصر ، ط 7 ، 1982.

13- شلتاغ عبود شراد : الغماري شاعر العقيدة الإسلامية ، دار مدني ، الجزائر ، 2003 .

14 - عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة) ، دار الوصال ، الجزائر ، ط 1 ، 1994 .

15 - عبد المالك مرتاض : النص الادبي من أين ؟ وإلى أين ؟ ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 .

16 - عبد الحميد هيمة : الصورة الفنية في الخطاب الفني الجزائري ، دار الفكر، بيروت ، 1920 .

17 - عبد الله إبراهيم : السردية العربية الحديثة (تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفكيك النشأة) ، المركز الثقافي العربي ،(د ت) .

18 - عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ، دار العودة ، لبنان ، ط 3 ، 1981 .

19 - فتيحة كحلوش : بلاغة المكان - قراءة في مكانية النص الشعري ، الانتشار العربي الحديث بنياتها وإبدالاتها ، دار توبقال ، المغرب ، ط 1 ، 1987.

20 - منير سلطان: الصورة الفنية في شعر المتنبي ، منشاة المعارف ، مصر ة (د ت) .

فهرس لموضوعات:

الفهرس	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: تجليات صورة الأنا والآخر	04
أولاً: صورة الأنا	04
1 -الاسلام	08
2 -الوطن	09
ثانيًا: صورة الأنا في مخيال الآخر	14
1 -صورة الأنا/ الرجعية	14
2 -صورة الأنا/ الهمجية	15
3 -Zصورة الأنا/ التخلف	16
ثالثًا: صورة الآخر في مخيال الأنا	16
1 -الأمة	17
2 -الغرب	18
الفصل الثاني: تجليات صورة الأنا والآخر من خلال بعض الثنائيات	23
أولاً: ثنائية الذات/ الموضوع	23
ثانيًا: الحياة/ الموت	25
ثالثا: الزمان/ المكان	29
رابعًا: ثنائية الحضور والغياب	33
الخاتمة	